جامعة عمار ثليجي

كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

العنوان:

رد المؤرخين الجزائريين على كتابات المدرسة الفرنسية

1830م-1962م

- نموذجا- كتابات توفيق أحمد المدني

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في: التاريخ

تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطلبة :

- شول اسلام مصطفى
- بن حرمة علي
- بلحماري عبد القادر

تحت إشراف الأستاذ:

- بوقرين عيسى

لجنة المناقشة

الأستاذ:	بن سعيدان محمد	رئيساً
الأستاذ:	علاق أحمد	مناقشاً
الأستاذ:	بوقرين عيسى	مشرفاً

السنـــــة الجامعيــة: 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحیم

شكر وتقدير

نحمد الله الذي جعل لنا من كل صعب بمعونته سهلا ، وكل ضائع بتوفيقه و هدايته متحققا نحمده سبحانه

نتقدم باسمي آيات الشكر و الامتنان و التقدير و المحبة إلى جميع أساتذتنا الأفاضل الذين رافقونا طيلة مشوارنا الجامعي.

الى كل من ساعد على إتمام هذا البحث و قدم لنا العون و مد لنا يد المساعدة وزودنا بالمعلومات اللازمة حيث أفادنا بتوجيهاته القيمة ونصائحه وإرشاداته الثمينة طيلة فترة إشرافه علينا "دكتور عيسى بوقرين"

ونخص بالجزيل الشكر و العرفان إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا و الى من وقف على المنابر و أعطى من حصيلة فكره لينير دربنا.

إلى كل الأساتذة الأفاضل دون استثناء إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

إهداء

أهدى ثمرة هذا العمل المتواضع إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، أرجوا من الله، يمد في عمره والدي العزيز.

إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب و الحنان، إلبسمة الحياة و سر الوجود إلى ما كان دعاءها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي أمي الحبيبة أدامها الله لي و أطال في عمرها.

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة و النفوس البريئة ، إلى إخوتي : ،إلى كل العائلة بدون استثناء

إلى أصدقائنا ، و زملائنا في الدراسة عامة ،إلى كل حمله قلبي ولم تحمله مذكرتي و لكل من شجعنا و لم ينسانا بدعائه

و إلى كل عمال المكتبة و طلاب قسم الحقوق إلى كلية الحقوق و علوم السياسية.

أدرك الفرنسيون أهمية التاريخ في بناء الهوية لأي شعب أو امة و بذلك أولوا اهتماما بتاريخ الجزائر من بداية العصور القديمة إلى غاية الفترة الحديثة و المعاصرة و هم على تامة بأسباب هذا الاهتمام المتزايد و انعكاساته المستقبلية على المجتمع الجزائري لذلك أطلقوا العنان لأقلامهم تتفنن في الكتابة عن تاريخ الجزائر بكل فتراته حتى تكون هذه الكتابات مستقبلا هي المرجعية التي يعتمد عليها أي باحث جزائري و لكن ظفر العديد من المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ الجزائر و سجلوا الوقائع و الحوادث كما هي في الواقع و كذلك حاولوا الرد على بعض الكتابات الأجنبية و خاصة منها الفرنسية.

أهمية الموضوع :

يكتسب التاريخ أهمية كبيرة في حياة الأمم موضوعنا يدرس المؤرخون الجزائريون و كتاباتهم في مواجهة إدعاءات المدرسة الفرنسية من 1830-1962 فأخذنا نموذج كتابات احمد توفيق المدني الذي دافع عن تاريخ الجزائر

دوافع و أسباب اختيار الموضوع :

الأمر الذي جعلنا نختار هذا الموضوع لما له من أهمية فحاولنا تسليط الضوء على هذه الفترة من التاريخ الجزائري.

بالدرجة الأولى نحن كطلبة متخصصين في دراسة التاريخ علينا معرفة تاريخنا من مصادره الحقيقة دون تصريف او تزييف .

معرفة الجهود الكبيرة إلي بذلها المؤرخون الجزائريون في كتابة التاريخ الجزائري ونقله لنا على اكمل صورة ووجه

المساهمة من خلال هذه الدراسة العلمية الوقوف على نضال ومواقف أعالم الحركة الوطنية ورموز الثورة من أجل استفادة الاجيال القادمة.

إشكاليات:

كيف رد المؤرخون الجزائريون عن كتابات المدرسة الفرنسية ؟

لماذا طرحت المدرسة الفرنسية تلك الادعاءات و المزاعم ؟

ما هي أسباب التي جعلت المؤرخين الفرنسيين يهتمون بالكتابة التاريخية الجزائرية

كيف حاول الاستعمار الفرنسي القضاء على الهوية الوطنية الجزائرية

كيف بدا احمد توفيق المدني يهتم بالتاريخ ؟ لماذا اهتم به ؟ كيف دافع عن تاريخ الجزائر ؟

كيف كان رد توفيق أحمد المدني عن طريق كتاباته ؟

المناهج المتبعة:

اعتمدنا على المنهج التاريخ الوصفي المناسب للدراسة لأننا في الفصل الأول يذكرنا بجرائم فرنسا و ما فعلته من تزييف و تحريف فكان المنهج التاريخي هو الأنسب أما الفصل الثاني و الثالث فذكرنا حياة احمد توفيق المدني ثم دوره في الكتابة التاريخية واهم كتاباته وموقفه ضد الاستعمار من خلال كتاباته التاريخية فكان عبارة عن وصف لذلك كان المنهج الوصفي المناسب .

وصف المصادر و المراجع :

اعتمدنا على أهم مصدرين هما سعد الله ابو القاسم تاريخ الجزائر الثقافي و قنانش محمد ذكرياتي مع مشاهير الكفاح اللذان وجدنا فيهما المادة العلمية الشاملة المتعلقة بموضوعنا

كما اعتمدنا على مرجعين هما بوضرساية بوعزة رواد المدرسة التاريخية و سعيدوني ناصرالدين دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر اللذان وجدنا فيهما المادة العلمية والتسلسل التاريخي للاحداث واهم مكوان موضوعنا .

خطة الموضوع :

قسمنا المذكرة إلى ثلاثة فصول يندرج تحت كل فصل ثلاثة مباحث و الفصل عبارة عن فصل تمهيدي للموضوع أما الفصل الثاني فجاء نبذة عن حياة المؤرخ احمد توفيق المدني ينقسم إلى ثلاثة مباحث فأول تناولنا فيه مولده و نشأته و تعليمه أما المبحث الثاني فكان

نشاطه السياسي و الفكري في تونس و الجزائر اما الثالث فأدرجنا فيه دفاعه عن عروبة الجزائر.

و ختمنا مذكرتنا بالفصل الثالث الذي يندرج تحت عنوان كتابات التاريخية لتوفيق المدني و أهم مؤلفاته و المبحث الأول كان أهـم مؤلفاته و الثاني إسهاماته في الكتابة التاريخية أما المبحث الثالث فكان موقفه من قضايا عصره من خلال كتاباته و بهذا نكون قد تحصلنا الموضوع .

الصعـوبات :

و لعل من ابرز الصعوبات المصادر المتعلقة بكتابات أحمد توفيق المدني بالاضافة الى صعوبة وجدلية الموضوع

رغم تنوع الكتابات التاريخية الفرنسية الخاصة بتاريخ الجزائر في فترة الاحتلال و الثورة الجزائرية في شكل أرشيفات حكومية و مقالات صحفية و تقارير و مذكرات سياسية و عسكرية ان متفحصها يجد أنها أرخت تاريخ الفرنسيين في الجزائر و بذلك أهملت الجانب الجزائري هو الطرف الأساسي في تلك الثنائية التصادمية التي ميزت التاريخ الجزائري منذ أن وصلت أقدام الفرنسيين ارض الجزائر عام 1830 زيادة على ما ميز الدراسات من خلال إصرار أصحابها على ترديد أطروحات المدرسة الفرنسية الاستعمارية تبيض جرائم الاستعمار الفرنسي و أعمال الإبادة و الدمار التي مارستها جنرالات و سياسة فرنسا في الجزائر و بذلك باقتفاء هذه الدراسات للنزاهة و الموضوعية العلمية إلا أن أهميتها في عملية كتابة تاريخيا الوطني ،إلى جانب احتواءها على معلومات و أحداث و تفاسير و تحاليل متنوعة على صلة بالحدث التاريخي .

المبحث الأول: اهتمام بعض المؤرخين الفرنسيين بالكتابة التاريخية

كانت هناك عدة دوافع الاهتمام المؤرخين الفرنسيين بتاريخ الجزائر و أهمها كونهم تغلبوا على الجزائريين بالقوة و كونهم شعبا متحضرا حكموا شعبا متخلفا و كونهم مسحيين قبضوا على زمام شعب مسلم،و هذه المعطيات متفرقة و متجمعة و لعل تلك المعطيات هي التي تتحكم في الكتابات الفرنسية عن الجزائريين في اليوم و هناك أيضا دوافع أخرى منها الرغبة في التعرف على شعب وقع قبضة الحضارة الأوروبية كانت هذه الحضارة تحمل معها إلى الجزائر كل أدوات الغزو الفكري فقد جاءت بالمطبعة و الصحيفة المستشرقين الذين يدعون معرفة الإسلام و تاريخه دوافع السيطرة و الاحتلال، و لا يمكن أن يتحقق ذلك إما بجمع الآثار المكتوبة و غير المكتوبة و تمحيصها و تقسيمها واستخلاص النتائج منها دافع هو الفضول العلمي فقد احتلت الجزائر في وقت كان العقل الأوروبي جامحا يتطفل على الميادين المعرفة[1].

في بداية الاحتلال كان جل الكتاب بطبيعة الحال من الضباط المثقفين و المبشرين و الصحفيين، و خاصة منهم المترجمون العسكريون و هم الذين اهتموا بكتابة تاريخ الجزائر لان كانت لهم علاقات إدارية مع السكان فسجل بعضهم انطباعاتهم و مذكراتهم و حددوا تقارير رسمية كثيرة مدونين بحماس شديد كل ما وقع تحت أيديهم من مصادر مكتوبة و روايات شفوية و اثأر قديمة ، قد حصلوا عليها بمختلف الطرق و الوسائل أما الإغراء أو بالقوة و قد شجعتهم وزارة

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 ج6 ط 1. دار العرب الإسلامي: الجزائر1998ص379.

الحربية الفرنسية على هذه الأعمال بصفة خاصة على دراسة التاريخ و الأعمار و الفنون و العلوم الطبيعية[1] .

حيث يطلق ستيفان غزال على هذا العهدة 1830-1880 عهدا المؤرخين العسكريين اسم المدرسة الجزائرية القديمة ،في كتابة التاريخ ،ذلك إن الذين تولوا كتابة تاريخ الجزائري الاقتصادي والسياسي والإداري خلال هذا العهد وهو كتاب عسكريون بالمهنة والترجمة عسكريون وقد ظلت الادراة الفرنسية في الجزائر عسكرية من 1830 الى 1871[2]ويشمل هذا النوع من الكتابات كل من أرنو، وفيرو، ورين، اوربان، كلوزال، ودي بري، وفيالا، دي جوبي، روبان ،وكات ، دوني، دوما روب، كاريت، جانيتي دوبوس وغيرهم .

وقد نشرت اغلب أعمال هؤلاء الكتاب العسكريين في النشريات الرسمية التي كانت تصدرها الإدارة الفرنسية في الجزائر[3].

والفترة الثانية يطلق عليها عهد المؤرخين الاختصاصيين وتبدأ من سنة 1880-1954 وتضم في اغلبها علماء مختصين وأساتذة جامعيين ،تميز إنتاجهم التاريخي بالميل نحو التخصص والسعي الجاد لجمع المادة التاريخية ومحاولة استخدام تقنيات البحث في معالجة المعلومات التي اخذ وها عن الكتاب السابقين لهم وقد ساعدتهم على ذلك الوسائل المتوفرة في مجالات ومكتبات، معاهد العليا وهؤلاء الكتاب نذكر على سبيل المثال مربي ، مصون ،واسكر[4] .

كما عالج الفرنسيون موضوعات مختلفة من الفن إلى الإدارة ومن الشعر إلى التاريخ ومن العلوم الى التجارة ،فيقول (ريشال تيار الذي عالج موضوع الجزائر في الكتابات الفرنسية إن كتب الانطباعات كانت المفاهيم يعني بذلك الكتب التي تناول سكان وأنماط حياتهم وملابسهم وعاداتهم وأخلاقهم والإحياء السكنية ،وقد راجت بعد ذك الكتب التي تشرح لسواح طريقة الحياة في الجزائر، وهي المعروفة بكتب "الدليل" فلا احد يزور الجزائر من الفرنسيين الأوربيين دون ان يحمل في يده "دليلا " يرشده، وقد زار كبار الكتاب والأدباء امثال فورمنتان، غونتيه، فوتكور، فلومبير، دوديه ،

1- صالح بن قربة واخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر، 2007 ص 302

2- ابو القاسم سعد الله ، المصدر السابق ص2،11

3- ناصر الدين سعيدوني ، **ورقات جزائرية** ط1 دار الغرب الإسلامي ،2000 ص10

4- نفسه ص 38

بول بورد ، موباسان ، جان لوران وغيرهم حيث جاء البعض منهم بسبب سحرها الشرقي والبعض منهم جاء على نفقة الحكومة الفرنسية ليكتب بعد ذلك عن مشاهدته ليرغب الناس في الهجرة اليها مثل الاسكندر دوما ،فيديو،الفنان بعضهم الاخر جاء للجزائر بسبب الفصول الادبي والفني ، ومن الشعراء المعاصرين للحملة الفرنسية نذكر فيكتور هوقو لاماريتي ، فينييه قد ظلوا صامتين عن جرائم فرنسا في الجزائرلان فظائع الحملة كانت غير معروفة للرأي العام الفرنسي ، اما الرواية والقصة وما يشبهها فقد سجل الدارسون حوالي 200 رواية او قصة نشرت في الجزائر والمجلات الى 1925 من الإنتاج الروائي ماكتبه هوق لورو بعنوان (رجل الساعة) يعني به الباشاغا الحاج محمد المقراني ، موضوع الرواية هو 1871 ، وهي رواية تسخر من رجال الدين الجزائريين ومن الثوار .[1]

فرغم تنوع الكتابات الفرنسية خاصة التي تتعلق بتاريخ الجزائر معظمها انطلق من تزيف الحقائق التاريخية وتبرير جرائم الاستعمار في الجزائر لكن بعض الكتابات احتوت على معلومات وأحداث يمكن الاعتماد عليها لدراسة تاريخ الجزائر خلال فترة الاحتلال حيث كانت بعض الدراسات تخدم الجزائر حيث اعتنى بعض المؤرخين الفرنسيين بتاريخ الجزائر حيث نشروا العديد من الكتب مثلا(أصول حرب الجزائر(ازون) وآخرين ، و(حرب الجرائد) للصحافي (ايف كوديار) تاريخ حرب الجزائر الأستاذ بيرنام كوز، افيلن ليفير[2]

1/بعـض المـزاعم والادعـاءات المدرسة الفرنسية:

وكان لابد للاستعمار من جهة أخرى في مرحلة معينة من مراحل الاحتلال من خلق إيديولوجية تبرر وجوده ويستند إليها في استمرار احتلاه للبلد وكان العمل في هذا الاتجاه يمضي نحو اتجاهين متعاكسين ، الاتجاه الأول هو نسج أساطير تكون بمثابة مبررات تعطيه نوعا من الشرعية وتعطي له الحق في اعمار الأرض والاتجاه الثاني يتمثل في العمل على نفي وجود الأخر" المستعمر" وطمس تاريخه وتشويهه عندما يكون طمسه امرأ غير ممكن فقد اشترك في هذه المهمة مؤرخون وباحثون في الآثار ومستشرقون وعلماء الأجناس ولغويون وأدباء وبالطبع اشترك في هذه المهمة عسكريون ورجال دين وتحولت الجزائر بذلك إلى حقل تجارب وميدان واسع للبحث

1- ابو القاسم سعد الله: المصدر السابق ص 381 ، 384، 385

2- الشيخ اوعمران : **قضايا في الثقافة والتاريخ** ، ط3 ،منشورات ثالثة، الجزائر 2007 ، ص 173 .

في مختلف الميادين والواقع أن إيديولوجية الاستعمار مبنية على الاتجاهين المشار إليهما ، قد بدأت تتشكل كغيرها من المخططات الاستعمارية من الأيام الأولى للاحتلال فقد كان المستعمرون يعتبرون ما فقدوه من أرزاق و ممتلكات و كان العقيد كافيناك من اوائل من اهتموا بأسطورة الجزائرية الرومانية،التي أصبحت تشكل إحدى مبررات المستعمرين من احتلال الأرض و إحدى الركائز التي تبنى عليها ايديولوجيتهم و كان العقيد " كافيناك" خبيرا في الآثار التي بان الأوروبيين لهم حقوق قديمة في امتلاك الجزائر[1]. شكلت ادعاءات فرنسا الإقليمية و المتمثلة في المطالبة بالشريط الساحلي يمتد من رأس الوردة شرقي عنابة إلى حدود التونسية و بعمق عشرة فراسخ (حوالي 40 كلم) داخل الأرض، عنصر قلق مستمر العلاقات بين البلدين خاصة 1820 عندما أصبح احد العوامل الذي كان يغذي تحرشات فرنسا و استفزازتها ليصل بها الإعلان القطيعة مع الجزائر حيث تدرجه الادعاءات الإقليمية لفرنسا من حق الاستغلال الامتيازات الإفريقية و بصفة أبدية الذي طرحه دوغال لأول مرة عند نهاية سنة 1816 أثناء المفاوضات الاسترداد حق استغلالها ليتطور فيها بعد ذلك إلى حق الملكية لجزء من الأراضي الجزائرية فالحجة الرئيسية التي يرتكز عليها القنصل لتبرير هذا الادعاء هي كون حق الاستغلال الالتزام حصل عليها الفرنسيون بمقتضى السعادة المبرمجة بين هنري الرابع ملك فرنسا و السلطان العثماني احمد الرابع الذي هو سيد هذه البلاد في عام 1604 و ان هذا الحق هو ابدي لان الامتيازات التي تمنحها الدولة العثمانية ليست محدودة في الزمن لقد تطور هدا الادعاء ليتحول إلى حق ملكية الالتزام عندما طرحت الإدارة الجزائرية موضوع إعادة النظر في الاتفاق الذي ابرمه فيلي خوجة مع فرنسا في شهر أكتوبر من عام 1817 حول هذه المسالة لقد تردد في ذلك الوقت أن السلطات كانت تفكر في صنع الامتيازات لباي قسنطينة الذي يكون قد ابدي استعداد لدفع مبلغ ستين ألف قرش الباني اذا ما رفضت فرنسا قبول إلغاء هذا الاتفاق الأخير كما امتدت هذه الادعاءات لتمتثل حق احتكار التجارة الخارجية في كامل تراب بايلك الشرق و من الناحية السياسية الهيمنة على ساحل إفريقيا و هو ما يعوض بالواسع الخسارة[2] .

1- عبد جاسم الساعدي ،الإبعاد التاريخية و الثقافية في الأزمة الجزائرية(ندوة لندن 1999)المؤسسة الوطنية للفنون و المطبعة ،وحدة الرغاية الجزائر 2004ص69-70

2- قنان جمال:**العلاقات الفرنسية الجزائرية**1790-1830 المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار الرويبة2005ص347-350

أما فيما يخص المقاومة الوطنية فقد حرص الكتاب الفرنسيون المعاصرون و المحدثون و معظمهم من الضباط و الجنود على إبعاد العنصر الوطني عن هذه المقاومة الجزائرية و رجالها و قادتها على ربطها بالأسباب الاقتصادية و الاجتماعية حتى لا ينتزعها من محتواها و أهدافها الوطنية و حاولوا بالتالي ان يصلوا إلى النتائج التالية :

– ادعوا الجزائريين عنصريون متعصبون دينيا و عرقيا و لايستطعون أن يتعايشوا مع الأجانب الأوروبيين المسيحيين و لذلك كانوا يثرون باستمرار ضدهم هو مصدر ثوارتهم المتعددة ضد الفرنسيين و الدليل في اعادئهم هذا و كثرة رجال الدين الذين دائما في مقدمة الثورات و يقودونها و يدعمونها و يؤيدون زعماءها السياسيين و العسكريين .[1]

و هي دعوة باطلة بالأدلة التاريخية القاطعة لان الجاليات الأوربية و المسيحية كنت تعيش بالجزائر قبل 1830 بقرون عديدة في امن و سلام منها الجالية الفرنسية التي تمركزت بالقالة و عنابة الجزائر العاصمة منذ تأسيس مراكز صيد المرجان الفرنسية بساحل القالة و عنابة في منتصف القرن السادس عشر،تمارس نشاطها الديني و الاقتصادي بكل حرية طالما احترمت قوانين ضد الغزاة الأجانب الاستعماريين .

ادعوا الجزائريين لا يثورون إلا عند ما يشتد عليهم الفقر و الجوع و العرى و الخصاصة ،أما عندما تتحسن أوضاعهم الاقتصادية و ينمو ثراؤهم فأنهم يخلدون إلى الهدوء و السكينة و يرضون بحكم الأجانب لهم و احتلالهم لبلادهم و منهم الفرنسيون و هذا في نظرهم طبعا أن الجزائريين لا يثورون الأمن من اجل بطونهم الجائعة و أجسادهم الجارية اما الفكرة الوطنية و الدافع الوطني فبعيد و غير ذي موضوع[2] و هو ادعاء استعماري خطير في نفس الوقت تبناه معظم من كتب عن ثورات الجزائر في القرن الماضي في الحالي امثال،لويس دين،شاتولي لوسياني هيريبون بول ازان فوانز فيرو قروملي لاباسي ماقون قارو شارل بتار و غيرهم من الذين كتبوا عن الثورات في زعمهم ليست وطنية جزائرية لأنها اندلعت بسبب ادعاءات من الخارج من طرف قوى أجنبية فاتهموا المقراني الحداد و محي الدين بن الأمير[3](2) حيث نسيت رسائل مزيفة و ان كان لاصفر

1- يحي بوعزيز ، **ثورات الجزائر في القرنين 19–20** ج1ط2 منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر1995ص27

2- قنان جمال، مصدر سابق ، ص28

3- محمد الشريف الساحلي، تخليص التاريخ من الاستعمار ، تر محمد الشريف بن دالي حسين ، محمد هنا ، منشورات ذكرى الأربعين للاستقلال ، الجزائر 2002

حوالي عشرين باشاغا، أغاو قائد و على رأسهم المقراني من ان يعبروا من جديد في جويلية 1870 عن ولائهم و إخلاصهم لنابليون فقد كانوا على أي حال عاجزين كل العجز عن تصوير وثيقة و تحريرها بحيث تكون الأساليب و البراهين المطلقة مطابقة دقيقة لتقاليد و عادات ديوان القنصلية الفرنسية." صاحب الجلالة ان فرنسا قد شنت الحرب على بروسيا و ستكونون على رأس الجيوش الفرنسية :يرافقكم نجلكم و ريث مجدكم و اسمكم فعندما علمنا بان دولة ما تجاشرت على ان تجليه لنفسها غضبكم حتى اعتورتنا سورات غضب فجائي و عانق أرواحنا توقد تلقائي للنخوة فنحن كذلك نريد أن نحارب أعداء فرنسا الذين نرى فيهم أعداء لنا .

أيمكن لنا ان نتصرف فيه هذا التصرف نحن قادة الأهالي الذين أغدقتم علينا النعم؟...

نحن نتوسل إليكم بان تقبلوا يا صاحب الجلالة،تبرعنا المتواضع بأموالنا و سواعدنا فإراقته دمائنا من اجل فرنسا بالنسبة لنا حق قبل أن تكون واجبا [1].

فهذه القطيعة المعبرة عن السبالة عبارة عن خطاب مفخم مثير للسخرية تشتم منه رائحة الاختلاف و التزييف فان صاحب هذه القطعة يلبس "قادة الأهالي" أثواب متملقين فرنسيين غير ان طرائفه انقلبت إلى سخرية لا ذكة حيث أكد[1] على لسان هؤلاء القادة ان الإمبراطور كان قد أغدق عليهم النعم و ذلك في فترة كان المقراني قد قدم استقالته معبرا بذلك عن استياء طبقته المتصنعة بالامتيازات هذه الطبقة التي أصبح نفوذها يتلاشى و امتيازاتها تتضاءل نتيجة لتوسيع صلاحياتها الإدارة المباشرة،خدمة الاستعمار و انه ليمكن عند الاقتضاء استساغه فرضية رين التي يحللها حسبها المسعى الذي قام به قطاعيون الذين أصبح أملهم الوحيد،ان يستعيدوا سلطتهم فحاولوا بكل وسائلهم ان يفرغوا الثروات من طباعها الوطني ،كما حاول بعض المؤرخين من يكره الصفحات البيضاء لا يتوازنون حتى في استعمال المفارقات التاريخية فينظرون الى الماضي بمنظار الحاضر و هذا ما فعله ستيفان كسال عند ما وجد نفسه مفتقرا الى المعطيات التاريخية الدقيقة و الكافية لوصف حياة البربر في القديم فلجا إلى المجتمع البربري المعروف في عصره، ليطوي الاف السنين طيا هذا و لم يجد جان لاسوس في مثل هذه الطريقة أي حرج نظرا حسب رايه لما في الحالتين من تشابه بل قد ذهب ابعد من ذلك ليقول لنا ان ستيفان كسال قد زودنا بفضل طريقته هذه بلوحة للبربر" خارج إطار أي تاريخ" و معنى ذلك انه إعطانا صورة للبربري الأبدي لم تلبث

1- محمد الشريف الساحلي المرجع نفسه، ص20- 21

فرضية ستيفان هذه ان تحولت إلى اطروحة لا جدال فيها تقتضي باعتبار الرغم من الآلاف السنين التي تفصل بينها و التي كانت حافلة بالأحداث و التغيرات و الانقلابات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية او قد كانت هناك جماعة كبيرة من المؤرخين[1] ابتداء بغوتي و جوليان انتهاء ببارتي كأمس كبرت من شان هذه الأطروحة و توسعت فيها انطلاقا من البربري لا يتغير مع الزمن ظل على ما هو عليه منذ أزمة ما قبل التاريخ، و بقي يعيش حياته ضمن نفس الأطر التنظيمية البسيطة ،اختصارا لكافة هذه الأطروحات .

يرى بعض المؤرخين "الدوام البربري " هو السمة الأساسية في تاريخ شمال افريقيا[2] .

حاول المؤرخون أن وطأت أقدامهم الجزائر تشويه التاريخ و التزييف فسجلوا ادعاءات و أباطيل في كل فترات و خاصة ثورة أول نوفمبر 1954 عندما ادعوا ان متزعميها فلاقة و قطاع الطرق خارجون عن القانون[3].

و كذلك أن منطقة الاوراس كانت أولى مناطق لاندلاعها،فنجد لورتونو يرسم لنا صفات الرجل الاوراسي الذي يتسم منذ القدم بكونه عدو للنظام ، مستعدا للمشاركة في كل تمرد،مثل ما فعل من فعل ضد الرومان[4].و آخرون ارجعوا الثورة لأسباب اقتصادية و اجتماعية و اعدوا مشروع قسنطينة الاقتصادي ليقضوا به على الثورة ،لكن الثورة سفهت أحلامهم[(4)] و برهنت لهم بان الثورة كانت على مبادئ أهدافها تحرير البلاد و نيل استقلالها.

فرغم تلك المزاعم و الادعاءات المدرسة الفرنسية و محاولة غرسها في أبناء في الجزائر كانت لها أثار كبيرة في تاريخنا الجزائري إلى حد الان .

من اثارة بعض الشكوك حول بعض القضايا فكانت كتابتهم عبارة عن ابر مسمومة تحقنها في ابناء الجزائر.

2/تقييم الكتابات الفرنسية الخاصة بتاريخ الجزائر :

نميز نواحي ايجابية في أعمال المؤرخين الفرنسيين في الجزائر التي تتلخص في النقاط التالية :

- جمع المصادر والآثار وحفظها في المكاتب والمتاحف والسهر على الاستفادة منها.

1- عبد القادر خلوش ، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر** ، ط2، دار الامة، الجزائر1999

2- محمد الشريف الساحلي المرجع السابق ص20-21

3- يحي بوعزيز ،المرجع السابق ص28

4- محمد الشريف الساحلي المرجع السابق ص46

– نشر كثير من الآثار العربية في لغتهم و أحيانا في نصها الأصلي و بذلك ساعدوا على بقاءها و الباحثين منها.

– استخدام التقنية الحديثة في البحث كتصنيف المواد حسب الاختصاص و تنظيم الفهارس و تنظيم الأبجدي،و مصطلح الفترات الزمنية و التطوير.

– استعمال وسائل البحث و تشجيع الباحثين ،و شيوع التضامن العلمي بينهم و تبادل الخبرات عن طريق نشر الدوريات و الكتب و عقد المؤتمرات و الملتقيات .

اما النواحي السلبية عند المؤرخين الفرنسيين فتكمن في النقاط التالية :

– إهمالهم للشعب الجزائري في تناولهم لتاريخ الجزائر، لقد كتبوا عن الجزائر كمنطقة جغرافية من العامل تداولت عليها الدول و الشعوب من الفنيقيين حتى الفرنسيين و ليس هناك في نظره "شعب" او "امة" او "كيان" او" مجتمع متماسك" إنما هناك قبائل متناثرة تخوض حروب مستمرة[1].

– كما حاول الكتاب الفرنسيون ان يقللوا من أهمية المقاومة الشجاعة التي يواجههم بها الشعب فراحوا يجردونها من المقاومات الدينية و الوطنية والإنسانية فركزوا بحوثهم التاريخية المليئة بالمغالطات عن الفترة الرومانية و الفرنسية واعتبروها صفحة مشرقة لتاريخ الجزائر[2] .

– مجاراة المؤرخين عسكريين و اختصاصيين للسلطة و لا سيما الادارة الاستعمارية و وزارة الحرية التي كانت مسؤولة على الجزائر كما اهتم الفرنسيون بالعهدة 138–1954 و كتبوا عن رجاله سياستهم و تغيير الحكومات الفرنسية و اثر ذلك على الجزائر[3]

تعتبر الكتابة التاريخية الجزائرية قليلة اذا ما دونت بما كتبه الفرنسيون و ما زالت الكتابات التاريخية الجزائرية في حاجة إلى الجرأة و الانطلاق و تكسير الحواجز و العوائق التي حاول البعض إقناعها بها بحجة المحافظة على المصلحة و الوحدة الوطنية مما جعل في كتابتنا حسية الرؤى و اطروا مفاهيم أصبحت عاجزة على إرواء عطش شبابنا و معرفة دقائق و خفايا تاريخية الوطني بأقلام وطنية جزائرية و تحول دون احتوائه من تأثيرات الكتابات الأجنبية المعرضة التي تشكك في مقوماتنا و تاريخنا الوطني .

1- يحي بوعزيز المصدر السابق ص 28 .

2- ابو القاسم سعد الله، المصدر السابق ص35–36.

3- محمد زروال **الحياة الروحية للثورة الجزائرية** المؤسسة الوطنية للاتصال الجزائر 1994 ص248.

المبحث الثاني: رد بعض المؤرخين الجزائريين على الكتابات الفرنسية

تعتبر المساهمة الوطنية الجزائرية فعالة حيث كتب اغلبها باللغة العربية الوطنية و القليلة منها باللغة الفرنسية وهي تعبر بصدق عن الشعور الوطني الفياض الذي صاحب اليقظة في العشريات الثلاثة الاولى من القرن العشرين و التي مهدت لها الكتابات بعض الجزائريين في أوائل عهد الاحتلال أمثال كتابات حمدان خوجة و بن عنابي رغم كون هذه الكتابات هي في الوقائق استمرار للعهد العثماني منذ تاريخ الجزائر[1].كما تميزت المساهمة الوطنية الجزائرية في تاريخ الجزائر بمرحلتين :

1/ حركة احياء التراث: تعد هذه الحركة احياءا للتراث و نشر المصادر التاريخية الجزائر من تأليف و تراجم شخصيات و رحلات، و قد مثل هذه المرحلة بجدارة كل من محمد بن ابي شنب"1869-1929" و ابي القسام الحنفاوي "1850-1942" فالاول نشر العديد من امهات كتب التراث الجزائري مثل عنوان الدراية للغر " 1910" و نزهة الانظار للورتلاني "1980" و نحلة اللبيب لابن عمار"1902" و البوستان لابن مريم" 1907" و الثاني معجم بإعلام الجزائر "1906" عرف فيه بحياتهم و انتاجهم و اطلق عليه عنوان يبرز اهتمامه و الغرض من تأليفه و هو "تعريف الخلف لرجال السلف".[2]

2/ حركة المساهمة الوطنية: فقد بدأت منذ بداية الثلاثينات فنشر الشيخ مبارك الميلي كتابه تاريخ الجزائر في القديم و الحديث في مجلدين "1929-1932" و تتباعت مصنفات الشيخ احمد توفيق المدني و منها كتاب الجزائر 1932 و محمد عثمان باشا داي الجزائر 1938 و حرب ثلاثمائة سنة بين اسبانيا و الجزائر "1492-1792" كما ان الاستاذ عبد الرحمان الجيلالي نشر في فترة متأخرة جزئين من تاريخ الجزائر العام "1953-1954" قبل ان يستكمله أخيرا في أربعة مجلدات[3] و ايضا نجد كتابات بن نبي عن تاريخ بحيث لا يبعد موقف مالك بن نبي من التاريخ عن موقف الإبراهيمي فمهما متقاربان و لكن بن نبي أعطى تاريخ معين أعمق و اوسع فهو يقول "كل شعب يجب ان يصنع تاريخه بوسائله الخاصة بايده دائما و التاريخ في أي مستوى من

1- ابو القاسم سعد الله:المصدر السابق ص37.
2- ناصر الدين سعيدوني المرجع نفسه ص13.
3- المرجع نفسه ص14.

الحضارة يتم انجازه يمثل النشاط المشترك للأشياء و الأشخاص و الأفكار المتاحة في ذلك الحين بالذات"[1] .

كذلك كتب مصطفى الاشرف عن تاريخ من خلال الثورة و قد كتب فصولا عن الحركة الوطنية و تطور المجتمع الجزائري و نشرها في المجالات فرنسية منها 'الأزمنة الحديثة' و'الحضور الإفريقي' و هذه البحوث لم تتطبع عندئذ في كتاب فقد كتب الاشرف بحوثه بروح وطنية و كان يبحث في ركام التاريخ الاستعماري عن عناصر الهوية في المجتمع الجزائري في القرن19 م . و كتاب (الجزائر الثائرة(ليس كتابا في التاريخ او عن التاريخ رغم ما فيه من اشارات تاريخية و لكنه كتاب يحتوي على مادة اساسة للمؤرخ و هي الوثائق و لا غنى عنه عند كتابة تاريخ الجزائر المعاصر و الثورة و بالخصوص المغرب العربي و المشرق[2] .

كما كتب يحي ابو عزيز عدة كتب نذكر منها 'الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري) حيث ظهرت الطبعة الأولى لكتاب الأمير عبد القادر في تونس سنة 1957 .

كان بو عزيز انذاك طالبا بها و قد اظهر ميله الى التاريخ و انتماؤه الوطني بهذا العمل المبكر الذي جاء وسط المعمعة لسيد فراغا كانت الثورة في حاجة الى مثله من باب الدعاية لها و التعريف بشخصية و بطولة الامير التي كانت عنوانا لبطولة الجزائر و بالفعل ادى الكتاب دوره المتوقع منه ، و عند طبعه للمرة الثانية غداة الاستقلال عدل فيه مؤلفاته بما راه صالحا بعد حوالي 7 سنوات ضد صدوره، اهدى بوعزيز كتابه الى روح الأمير عبد القادر المكافح في سبيل العزة و الحرية و الإخاء و المساواة[3]و ايضا كتب الشيخ احمد توفيق المدني انه آلف في تاريخ الجزائر قبل الثورة ،بحيث احدث تيارا وطنيا قويا وسط الجزائريين منذ من تونس الى موطن اجداده1925 فهو صاحب تقويم المنصور،و كتاب الجزائر و المسلمون في صقلية و حنبعل و قرطاجنة هذه في الجزائر كان مقره هو مكتب جمعية العلماء،كما الف كتاب في ظرف شهرين و نصف تقريبا و قد أهداه "إلى ضحايا الحرية في الجزائر..الى الشهداء" و يظهر هدف التأليف من قول احمد توفيق المدني" الامة الجزائرية و القطر الجزائري اسمان خالدان مقدسان توارثهما العالم العربي و العالم

1- ناصر الدين سعيدوني دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر ج2 ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (د.ت) ص40.

2- ابو القاسم سعد الله **تاريخ الجزائر الثقافي 1954-1962** ج10 دار البصائر،الجزائر،2007،ص560

3- نفسه ص560

عموما لا يعرف عن الجزائر الشيء الكبير"[1].و كتابات أخرى نذكر بعضها (الحركة الوطنية من 1919الى 1951) لمحفوظ قداس هذه الدراسة العلمية في تاريخ تتكون من جزئين ،و تتناول كل الحركات السياسية و الوطنية يعطى فيها المؤلف تحليلا دقيقا و واضحا للنضال الجماعي الذي خاضه الشعب الجزائري ضد الاستعمار كما انه يبرز،أثار و تأثير النضال الاستعماري في المجتمع الجزائري و أيضا الجزائر في الحرب لمحمد تقية،و هي رسالة جامعية في العلوم السياسية،من خلال هذا البحث العلمي استطاع المؤلف أن يلقي أضواء جديدة على الحركات الوطنية و تطورها إلى ان اندلعت الثورة المسلحة،رغم قلة المصادر و العراقيل التي واجهها الباحثين،فانه افلح في الرد على المؤلفين و الصحافيين الأجانب الذين شوهو تاريخ الجزائر[2].

خلال الثورة القى الشيخ الابراهيمي محاضرات عن تاريخ الجزائر على طلبة معهد البحوث و الدراسات العربية بالقاهرة،و قد فصله على مراحل و حلله بأسلوبه الادبي،بعد ذلك جمع تلك المحاضرات و قدمها لمعهد البحوث لطبعها في كتاب و توزيعها على الطلاب و غيرهم من المهتمين،لكننا لم نعثر على المحاضرات مطبوعة ولا مخطوطة و انما رأينا منها صفحات نشرت في الجزء الخامس من اثاره.

كما الف الشيخ عبد الرحمان الجيلالي كتاب بعنوان تاريخ الجزائر العام و لعله هو الكتاب الوحيد الذي اهتم بالتاريخ و سار على منهج تاريخي و انطلق من دافع تاريخي،و عندما قرر كتابة تاريخ الجزائر كلها كان مستوعبا لكل هذه الاماكن و امثالها في القطر الجزائري كله،فهو لم يكتب تاريخ مهنية و لكنه كتب تاريخ قطر في ضوء التاريخ العربي الاسلامي و للشيخ الجيلالي ثقافة عربية و فرنسية و اسلامية عميقة و له ثقفه في الين و الدنيا،عمل بالإضافة الى التعليم في التأليف و محطة الاذاعة و التلفزيون الفرنسية في الجزائر،و في مجلة(هنا الجزائر) كما نشر في مجلة الشهاب و كان يتابع الحركة الاسلامية و لكنه لم يندمج و له عدة كتب (ذكرى الدكتور ابن شنب) مسرحية (المولد) النبوي الشريف الى مثلث عدة مرات في وقت الخمسينات في الجزائر ام الكتب المخطوطة فمنها (تاريخ الموسيقة العربية) قد نشر الشيخ الجيلالي كتبا اخرى مع ذلك لم ينشر الكتب المعلن عنه[3] ،كما توسع في تاريخه بعد ذلك حتى ممثل مختلف العصور بما في ذلك

1- ناصر الدين سعيدوني:دراسات المرجع السابق ص575-576

2- بركات انيسة، محاضرات و دراسات تاريخية و ادبية حول الجزائر،منشورات المتحف الوطني 1995ص205

3- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، **تاريخ الجزائر العام**، ط2 ، ص10

فترة الاحتلال الفرنسي،فأصبح الكتاب الان عدة اجزاء بدل جزئين كما نجد كتابات محمد العربي الزبيري حيث تنوعت اسهاماته من كتابات متخصصة في التاريخ و كتابات فكرية الى مقالات هادفة في المجلات تتميز كتاباته بالجدية في طرح الاشكاليات و اعتمد على امهات الكتب و ترجم و عرب اهم مصدر جزائري كتابة و نطقا و تحليلا نجد كتاب الجزائر من اهم الكتب التي الفها[1].

ابو القاسم سعد الله يعتبر من الركائز الاساسية للمدرسة التاريخية الجزائر المعاصرة و رواد تحرير التاريخ لحمادي الى ذات يوم الشريف الساحلي و هو بمثابة شمعة تنير سير الاجيال في رسم معالم التاريخ[2]حيث بدات رحلة سعد في ميدان الكتابة و مجال الفكر بتدريج المقالات الصحفية و الالتزام بالادب و تعاطي الشعر،لتبلغ اوج عطاءها بعد اربع عشريات(1954-1995) بمعالجة مسائل التاريخ و عرض قضاياه الشائكة بلغة صريحة ملتزمة جزئية متزمنة فقد كان يري ان الكتابة التاريخية عملية متجددة يمارسها كل جيل بالقدرة العقلية التي وصلها و الوثائق المتوفرة لديه و المستجدات الحضارية التي تحيط به و تقتضي مستوى ثقافيا محترما و منهجا محددا و نظرة موضوعية تفرضها النزاهة و الحياة و تتحكم فيها الرغبة في التعرف على الماضي من خلال استنطاق الوثائق التاريخية يمكن القول بان سعد الله ابو القاسم نجح الى حد كبير في تقديم صورة متكاملة للموقف الجزائري الاصيل فهو نموذج للكاتب الجزائري القادر على التأثير في وسطه الاجتماعي و القفافي من خلال مع الاخرين[3].اما فيما يخص المؤرخ ناصر الدين سعيدوني فيعتبر من خيرة ما اجبته المدرسة التاريخية و الجامعة الجزائرية تكونو علميا و رصيدا معرفيا و منهجيا و قد استطاع بمؤهلاته ان يحتل مكانة علمية مرموقة و على منهجه يسير الكثير من طلب التاريخ في الجزائر و خارجها كما يتميز الأستاذ في تناوله للقضايا بالواقعية و كانت انطلاقته قومية و وطنية ربما ذلك بحكمه الجيد الذي عاصر فترة الاستعمار و الثورة الجزائرية.

فحاول مجموعة من المؤرخين الرد على الكتاب الفرنسيين و آخرون انطلقوا من فكرة حفظ التاريخ للأجيال لمعرفة ما فيها يقول المؤرخ عثمان الكعاك في مقدمة كتابه (موجز تاريخ

1- بركات انيسة،المرجع نفسه ، ص20

2- احمد توفيق المدني، **حرب ثلاثمئة سنة**، ص 569-570-578

3- بوعزة بوضرساية ، **رواد المدرسة التاريخية الجزائرية**،دار الحكمة،الجزائر2007ص68

الجزائر) "أي شيئ يبقى لامة من الامم اذا جهلت تاريخها فان فعلت فقد نست شخصيتها كذلك اذا نسيت الامة الجزائرية تاريخها انتزعت منها تلك الروح التي تمتلك إرادات المجموع و تهمين عليها و تسخرها الى العمل المشترك[1].

عاشت الجزائر 130 سنة تحت ليل الاستعمار الحالك كانت الخطة الاستعمارية تعمل على تحطيم الشخصية الجزائرية بتحطيم الثقافية و الحضارية[2] حيث عمل الاستعمار الفرنسي المستحيل لكي يقطع كل صلة الجزائر بما فيها الفكري و تاريخها الحضاري سعيا وراء تحقيق خرافة الجزائر فرنسية سخر كل ما يملك من إمكانات و وسائل حتى يحول دون شعب الجزائر و معرفة تاريخ هو حضارة بلاده لكي يطمئن إلى وجوده بالجزائر العربية[3].

1- ناصر الدين سعيدوني ،دراسات و شهادات مهداة إلى الأستاذ ابو القاسم سعد الله"**شيخ المؤرخين**" ط1دار الغرب الاسلامي2000ص499-513

2- بوعزة بوضرساية ، المرجع السابق ، ص256-257

3- محمد قنانش ،**ذكرياتي مع مشاهير الكفاح** مصالي الحاج،دار القصبة،الجزائر2005ص10

المبحث الثالث: الاستعمار الفرنسي و القضاء على الهوية الوطنية

حاولت فرنسا بكل الوسائل تحطيم الشخصية الجزائر و محو مقومتها فعملت طيلة الوقت على تهميش هويتها كان المستعمرون الفرنسيون يحاربون تاريخ الجزائر القديم منه و الحديث و يضعون ابناءه عن كتابة تاريخهم فيكتبونه حسب أهواءهم[1] أيضا جاءت كتابتهم على شكل أرشيف حكومية و مقالات صحفية تقارير و مذكرات سياسية و عسكرية فسجلوا اثار النظام الاستعماري و مزاياه و اهملوا معاناة المحكومين لهذا النظام و الصعوبات التي وضعت إمامهم للتحرر من السلطة الأجنبية التعسفية بحيث كانت السلطات الاستعمارية اشد قسوة لتاريخ الجزائر الحديث،تحاكم المؤلف الجزائري كأنه ارتكب جريمة و تصادر كتابة و كانت تقيد الصحافة العربية و لهذا بقي تاريخ الجزائر منذ الاحتلال الى قيام الثورة مفقودا عزاة الاستقلال لا نجده الا في صدور العلماء و الشيوخ المسنين في مذكرات بعض الكتاب الذين لم يتمكنوا من نشرها في عهد الاستعمار[2] .

1/ التعليم في عهد الاستعمار الفرنسي

بدأت فرنسا تنفيذ مخططاتها الاستعمارية لطمس الهوية الجزائرية فبدأت بالتعليم فكانت السياسة التعليمية الفرنسية تتطور لقضاء على الثقافة الوطنية فكانت هذه السياسة التعليمية هدفها القضاء على الهوية الوطنية و نشر التعليم الفرنسي حيث ركزت .

مدرستها الاستعمارية كثيرا على هذا النحو برنامجها التحسيسي لهذه الظاهرة بشكل تفصيلي و مقنع يستطيع على الأقل بالسلسة الأفكار وسط الجزائريين و تفكيكهم في امر عروبتهم و اسلامهم على ضوء هذا التفسير الاستعماري الخاطئ حيث انتهجت الحكومة الفرنسية سياسة الفرنسية اسلوبا و الإدماج غاية لتحقيق اهدافها الاستعمارية بدعوى ازالة الامية و الجهل المتفشي بين الجزائريين[3] ففي المدارس و المعاهد يدرس تلميذ بالتفصيل تاريخ فرنسا و حضارتها خلال مراحل التعليم و لكنه لا يدرس عن الجزائر الا كونها ارضا فرنسية و ان سكانها من أصل اوروبي نزحو الى الشمال الافريقي كما يدرس التلميذ بطولة جان دارك و شجاعة نابليون و غيرهما اما تاريخ حنبعل و ماسينيسا و بطولة طارق بن زياد و فتوحات عقبة و موسى بن نصير و ثورات عبد

1- بوعزيز يحي **موضوعات و قضايا في تاريخ الجزائر و العرب** ج2 دار الهدى الجزائر 2004ص450

2- محمد قنانش ، المصدر السابق ، ص11

3- خلوشة عبد القادر ، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر** ، ط2، دار الامة، الجزائر1999 ص63

القادر و عائشة و فاطمة فانه لا يدرس عن ذلك شيئا و لا تعمل له حتى فرصة الاطلاع عليه[1] بحيث كانت السياسة التعليمية بصورة رئيسة تهدف للقضاء على الشخصية الوطنية فالاستعمار بطبيعة أهدافه،عدو للعلم و التعليم في البلاد المستعمرة لانه يقوم على أساس الاستقلال بأوسع معاينة من استغلال المستعمرات على هذا النحو الثورات المادية و استغلال الطاقات البشرية لسكان البلاد،و التعليم يفتح عيون شعوب المستعمرات لان التعليم كما يقول احد الباحثين .

أ/ محاولة قتل اللغة العربية :

يعد الافراد للجماعة الناجحة في مجتمعهم يرفع من مستواهم الصحي الخلقي الاجتماعي يستنتجه هزيلة للجزائريين حتى كان اقصى ما يسمح به الاحتلال من تعليم الجزائريين هو نوع من التعليم البسيط ينحصر في تمرينات لغوية و معلومات مقتنصة في التاريخ و الجغرافيا بهدف اعطاء الجزائريين فكرة عامة عن تاريخ فرنسا[2].

كما حارب الاستعمار لغة الشعب القومية "العربية" و عمل على نشر اللغة الفرنسية،فهدم المدارس العربية،و منع كل محاولة لبناء غيرها او فتح أخرى جديدة حتى لا يترك أي مجال للفكرة الوطنية التي تنير ذهن الأجيال الصاعدة و تدفعها إلى معرفة واقعها الوطني الأصيل،جعل الاستعمار من دور السينما و المسارح وسائل لنشر الافكار الاستعمارية التي تصور كل مظاهر الحياة الوطنية في أشكال و مظاهر ممسوحة،كذلك هدم المساجد و أغلق بعضها حولها الى ثكنات او كنائس و في نفس الوقت عمل على نشر الديانة المسيحية،لأنها إنما اهانة للدين القومي الإسلامي[3] عمل الاستعمار على فرنسة الجزائر لغويا إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية و قد جاء في إحدى التقارير التي وضعت سنة1847ان الجزائر لن تصبح فرنسية الا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة رسمية فيها و العمل الجبار الذي يتحتم علينا انجازه هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالي الا ان تقوم مقام اللغة العربية و هذا هو السبيل لاستمالتهم ألينا و تشبههم بنا و ادماجهم فينا و جعلهم فرنسيين حيث أدرك الفرنسيون بان اللغة العربية هي أساس الدين،وصلة

1- بوعزيز يحي ،المرجع السابق ، ص450-451

2- رابح تركي ،**اتعليم اللقومي و الشخصية الجزائرية**،ط2(ش.و.ن.ت)الجزائر، ، 1981، ص127

3- محمدعلي دبوز ،**نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة** ج1سحب الطباعة الجزائرية الشعب للجيش الجزائر2007ص25

الجزائر بين بأصحابهم و أجدادهم اعتبر صانعة قاصرة و حامدة لا تؤهل اهلها للتقدم فاورثوا احتقار العربية[1].

ب/ محاربة الدين الإسلامي :

تعني سياسة التنصير محاولة القضاء على الإسلام و ثقافته و حضارته و مساجده وأوقافه في الجزائر و العمل على صنيع الجزائر بصيغة مسيحية لاتينية خالصة حتى يتخلى الجزائريون عن معتقلاتهم الإسلامية و يستبدلوا بها معتقدات مسيحية و منذ الايام الاولى للاحتلال نشرت فرنسا في تنفيذها تنصيرا واسعة النطاق القضاء على الإسلام الذي هو الدين الوحيد المنتشر في الجزائر تمثلت في الخطوات التالية :

– ان الكاثوليك في الجزائر سيظهرون ان شمالنا الإفريقي هو امتداد بسيط لفرنسا و ان فرنسا في الجزائر انما هي في بلادنا لان الجزائر حسب الأسقف مثل بوردو بيزنسون

– ان انعقاد المؤتمر بالجزائر يعتبر اعترافا بالميل لاؤرئك الذين ساهموا في الاحتلال سنة1830 و ضحوا بحياتهم سواء كانوا عسكريين او مدنيين

– اما الدينان المسيحي و اليهودي فقد كان وحدهما يتمتعان بالحرية الكاملة في معابدها[2]و كل شؤونها الأخرى حيث طبق عليهما و كل شؤونها الأخرى حيث طبق عليهما قانون فصل الدين عن الدولة كما حدث في فرنسا .

–القضاء على المراكز الثقافية الإسلامية التي كانت تنتشر للتعليم الإسلامي بين أبناء و بنات الجزائر في قسنطينة بجاية العاصمة تلمسان مازونة و غيرها من مدن الجزائر الأخرى بحيث اقتصر التعليم الإسلامي في زوايا الطرق الصوفية التي توجد في الجبال الشاهقة او الصحاري النائية فقط و هي أماكن بعيدة عن رقابة الاستعمار نظر لصعوبة طبيعتها .

فتح الباب على مصراعيه في الجزائر للمبشريين المسحيين سواء كانوا كاثوليك او بروستتان للعمل بكل حرية تدعيم سلطات الاحتلال الفرنسي من اجل نشر المسيحية و القضاء على الاسلام بين الجزائريين[3].

1- سعد الله ابو القاسم المصدر السابق، ص137.

2- نفسه ص138.

3- محمد لحسن لزغيدي ، الذاكرة ، الجزائر، العدد الثالث ، 1995، ص100.

ج/ تدمير و تخريب بعض المدن الجزائرية :

كما ادت سياسة الفرنسية الى تغيير وجه الجزائر العربي بتغيرها اسماء المدن و القرى[1] و الشوارع حيث أصبحت تعمل أسماء فرنسية لشخصيات و علماء و مفكرين و عسكريين و حذفت منها الأسماء العربية و الإسلامية الجزائرية حيث صار المتجول في القطر الجزائري و خصوصا في المدن الكبرى و القرى الحديثة

يشعر و كأنه في بلاد فرنسية و ليست في بلاد عربية إسلامية[2]هذا و لم يكف الاستعمار بتغيير أسماء المدن الكبرى و خاصة المدن الكبرى بل قام الاحتلال

الفرنسي عند قدومه بتخريب و تشويه معالم الحضارية و العمرانية و التاريخية و الدينية خاصة منها الإسلامية كما حاول الاسبان و الفرنسيين الذين بذلوا كل جهودهم لإثبات ان هذه البلاد كانت أوروبية قبل ان تكون عربية إسلامية كما عملوا و اجتهدوا على ان كل مدن و قرى الجزائر الكبيرة من تاسيس الرومان و البزنطيين و كان هذه البلاد قبل الاحتلال الروماني كانت خاصة من السكان كما حاولوا لو ان يحيطوا يكشفوا الغطاء عن كل الاثار التي ترجع الى عهود الرومان و البزنطيين و يدرسوها لاثبات مزاعمهم و هم ما فعلوا من تشويه المدن و تغيير ملامحها الإسلامية مثل:شرشال تيبازة جميلة ، لاميبس ، تيمقاد، تبسة، قالمة كما قاموا بتهديم و طمس و تخريب كل الآثار الحضارة العربية الإسلامية حيث قضى على أهم المدارس و المساجد الزوايا[3] ليفقدوها طابعها الإسلامي الشرقي يقنعوا الأجيال بمزاعمهم و اقاويلهم و هذا ما فعلوه بمدن: تلمسان ندرومة وهران مستغانم تنس الجزائر قسنطينة[4] .

1- عبد القادر خلوش المرجع السابق، ص64

2- يحي بوعزيز ، **مدينة وهران عبر التاريخ** ، ط2 ، دار الغرب وهران ،2002 ، ص7-

3- عبد القادر خلوش ، نفسه، ص 127

4- بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص 8

اهتم بتاريخ الجزائر الكثير من المؤرخين الذين دافعوا عن تاريخ الجزائر بكل موضوعية و روح وطنية من بينهم احمد توفيق المدني الذي اثر المكتبة بكتب مهمة جدا المتعلقة بتاريخ الجزائر سواء في القديم أو الحديث بحيث يعتبر احد البارزين في كتابة التاريخ الوطني .

المبحث الأول : مولده و نشأته و تعليمه

1/ مولده ونشاته:

احمد توفيق المدني بن محمد المدني القبي الغرناطي ولد والده[1] محمد بن احمد المدني بمدينة الجزائر عام 1852 درس بجامع الكبير و كن جده أمين الأمناء أي شيخ بلدية العاصمة و هاجر الشيخ احمد بأسرته الى تونس[2] هناك ولد توفيق المدني و كانت ولادته في 24 جمادى الثاني 1317هـ الموافق 1 نوفمبر 1899[3] بإحدى الديار العربية و نهج الناعورة رقم 04 و هو طريق يفصل بين نهج الباشا و نهج التريبونال بتونس العاصمة و هو من أصل جزائري فأسرته على غرار العديد من الأسر الجزائرية التي هاجرت تحت طائلة العديد من الظروف القاهرة التي كانت إدارة الاحتلال الفرنسي تقف ورائها أصبح احمد توفيق المدني تونسي المولد و النشأة مما ذكره هو حول نسب عائلته أنها من المدينة المنورة نشا احمد توفيق المدني في أسرة ميسورة حال مما مكنها من الوصول على منزل فخم حيث تربى في أسرة ثرية قد ارجع احمد توفيق المدني رخاء أسرته إلى جده الذي كان تاجر غنيا و هذا ما انعكس فيما بعد على تربيته و تعليمه[4].

2/ تعليمه :

و من الأمور التي أثرت كذلك في تكوينه أيضا أن أسرته كانت على درجة كبيرة من العلم و المعرفة[5] كانت امة تعلمه القران الكريم و الحديث النبوي و الأخلاق و تنفره من مخالطة الأطفال خوفا من تعلم بذاءتهم و كان أبوه يصحبه معه للصلاة و يحادثه في الحكمة و الارشاد و يحكي له عن جرائم الاستعمار بالجزائر فكانت والدته عائشة بمثابة مدرسة الأولى

1- الشيخ اوعمران و اخرون .معجم مشاهير المغاربة منشورات دخلت، الجزائر،2007 ،ص 425

2- محمد الصالح الصديق ، **إعلام من المغرب العربي**، ج3 ، موقف للنشر، الجزائر،2000 ،ص12–13

3- الشيخ اوعمران المرجع السابق ، ص425

4- بوعزة بوضرساية ، المرجع السابق ، ص332–333

5- الشيخ اوعمران ، نفسه، ص425

التي كانت السباقة في وضع لبنته التعليمية الأولى ففي علمه المعروف الاولى العربي من خلال تعليمه القران الكريم و الحديث حتى يتربى على مكارم الاسلام و يتخلف بأخلاقه القافلة ذلك هو الهدف الذي كانت تبتغيه الأم من ولدها و في كتاب المدرسة التاريخية الجزائرية يقول الأستاذ بشير المدني في مداخلته حول الأستاذ احمد المدني مايلي والدته كانت تحليه قصار سور القران الكريم و بعض الأحاديث النبوية التي كانت تسمعها من أبيها فتحفظ لها باسالبيها و يقول احمد توفيق المدني رحمه اله وطيب ثراه و ما كان حديثها معي الا من الحرام و هو كل خبيث من القول او العمل و الحلال و هو العمل الصالح الطيب و الجنة التي برنها عباد الله المتقون و جهنم التي هي مستقر ابدي للشيطان و الذين اتبعوه بسوء عن الفضائل التي يتمتع بها الحرام من الرجال و عن طباع السوء التي تردي صاحبها و تهدي به الى درجات الهلاك[1] دخل الكتاب في الخامسة من عمره[2] و في سنة التاسعة من عمره انتقل الى المدرسة القرآنية الأهلية بتونس العاصمة دخل جامع الزيتونة عام1913 كطالب حر فدرس على يد الشيوخ محمد بن يوسف و الصادق النيفر و محمد بن القافي و محمد شعبان و معاوية التميمي و نفس الوقت كان طالبا مناضلا بالمدرسة الخلدونية حيث تاثر بأستاذ التاريخ حسن حسنى عبد الوهاب فكان وراء توجيهه[3].

1- الشيخ اوعمران المرجع السابق ، ص 142

2- بوعزة بوضرساية المرجع السابق ، ص 425

3- بوعلام بلقاسمي واخرون ، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ثورة نوفمبر ، الجزائر ، 2007 ص 131

المبحث الثاني : نشاطه السياسي و الفكري

1/ في تونس : كان المؤرخ و المفكر السياسي احمد توفيق المدني صاحب نشاطا مميز في المجال الفكري و السياسي في تونس و في الجزائر على حد سواء مع اختلاف الفترة الزمنية فقط بالنسبة لهذا النشاط و ان كانت بداية انطلاق هذا النشاط من تونس لعدة اعتبارات كان اولها ولد و نشأ فيها بالتالي أصبح تونسي الجنسية مما سمح له خوض غمار هذا النشاط على كافة الاصعدة فقد كان مشاركا[1] في تحرير جريدة الفاروق منذ عام[2]1914 و كانت له مقالات قيمة في تلك الجريدة فكانت تحارب البدع و الخرافات في الدين الإسلامي كما كتب عدة مقالات تحدث فيها عن المرأة و النضال و من اهم ما كتب و هو في سن الخامسة عشرة ربيعا مقالا مؤثرا و بالغ الأهمية جاء بعنوان"كيف ننقذ وطننا" في 27 أوت 1914[3] حاول من خلال عرض الأوضاع المزرية للشعب الجزائري في ظل الهيمنة الاستعمارية كيف حاول إدارة الاحتلال الفرنسي ضرب مقومات المجتمع الجزائري و بالتحديد اللغة العربية و الدين الإسلامي انطلاقا من هذه الأوضاع أكد على ضرورة الاهتمام بتعليق المرآة و تعميم تعليم اللغة العربية و نشرها و الابتعاد عن الخمول و الكسل و تعلم الصناعات مهما كانت،و قد نقل عنه الأستاذ بشير المدني حسرته التي جاءت معبرة عن الحرج الذي اصاب وطنه الجزائر و أصاب الامة العربية و الإسلامية قاطبة بقوله" بالله ماضرنا لو كان فينا مهندسون ؟ ماضرنا لو كان فينا كيميائيون من جنسنا...؟" و ذلك ان الاستعمار الفرنسي قد اقيم بينهم و بين العالم الإسلامي و العالم العربي و الأمم الحرة حواجز و عراقيل و مع ذلك لم يستطيع فرض ارادته لقد حاول احمد توفيق المدني في هذه الفترة ان يؤذي تقريبا العمل الذي قام الامير خالد في الجزائر خلال الحرب العالمية الاولى و مما بادر اليه المدني هو اتصاله ببعض المناضلين التونسيين من بينهم احمد نجاح و محمد النيقر،محمد السعيد الحضلي والهادي مزاح قصد تكوين تنظيم سياسي ضد إدارة الاحتلال الفرنسي التي تمكنت من السيطرة على دول المغرب العربي الثلاثة المغرب

1- بوضرساية بوعزة ، المرجع السابق ، ص340

2- مرتاض عبد المالك،المرجع السابق ، ص77

3- ابو القاسم سعدلله ، المصدر السابق ، ص 576

الأقصى و الجزائر و تونس،و بناء على عدة محاولات كانت النتيجة عقد اجتماعات متعددة انتهت إلى تسطير برنامج عمل تضمن سبعة مبادئ و هي :

– نشر الدعاية ضد التجنيد الإجباري بين السكان خاصة و أن هذا القانون طبق على كل أبناء المغرب العربي.

– العمل من اجل التغلب على موجة اليأس التي أصابت الأهالي

– الاتصال بقبائل بني زيدان من الجنوب و هي المنطقة التي سابقة في تونس في الاعلان عن مقاومة الاحتلال الفرنسي.

– الهجوم عسكريا على الحامية الفرنسية بقضية و المناطق المجاورة لها.

– تجنيد كل الطاقات الضرورية بالمغرب العربي.

– إنشاء شفرة خاصة للاتصال بين المناضلين على ان يتولى مهمتها احمد توفيق المدني بالنسبة لمناطق الجنوب التونسي بحكم معرفته لسكان قفصة و الخاصة من خلال ممارسة لتجارة التمر و على راس هؤلاء السكان الشيخ على فارس من قبائل بني زيد[1] لم تكن تحركات احمد توفيق المدني خافية عن السلطات الاستعمارية الفرنسية داخل التراب التونسي فنشاطه السياسي لم يدم طويلا حيث تم اكتشافه من طرف عملاء ادارة الاحتلال من التونسيين و كان بينهم المدعو البشير بوخريف الذي ساعد الشرطة في القاء القبض عليه و ذلك في14 فيفري 1915[2] فاتقن اللغة الفرنسية داخل السجن و اطلع على كتب هامة فأصبح ذا ثقافة واسعة و تكونت له فكرة اجتماعية ناضجة غادر السجن في غرة نوفمبر 1918 يقول رحمه الله:"غادرت السجن و انا اظطرم نارا،قد عقدت العزم على ولوج باب الجهاد من جديد و يصف نفسه في مقدمة مذكراته انه حياة كفاح قائلا: خلقت ثائرا حيثما تكون الثورة اكون و تكون ثورة ثورة حينها أكون فمنذ فتحت عيني على أضواء الحياة.و منذ شعرت بوجودي بشرا سويا وجدتني مندفعا اندفاعا جزئيا كل مجتمع مهلهل متخاذل منحل ثائرا على أخلاق ظاهرها النفاق و باطنها الفساد،و التحلل من كل القيم العالية ثائرا على

1– بوعزة بوضرساية ، المرجع السابق ص342–343

2– أنيسة ،بركات المرجع السابق ، ص 258

دراسة عميقة لا روح لها و لا غاية ترجى من ورائها ما كانت الا ألعوبة مستعمر مجرم سيئ النية،خبيث الطويلة،يريد بواسطتها تحقيق مبدا استعماري فظيع...[1].

المعاصر يقول عنه مايلي : " نرى المدني قد بدا نضاله في تونس الشقيقة دفاعا عنها حيث لم يكن يؤمن بلأوطان و الحدود في العالم العربي و الاسلامي و قد كلفه ذلك السجن منذ طفولته و شبابه و ذلك انه اعتقل و سنه 14و3 اشهر 13يوما .. اقتحم ميادين الفكر و السياسة و قال : ان كفاحه استمر ستين سنة و انه ما عادي في حياته الا الاستعمار و انخرط سنة 1920 في عهد عبد العزيز الثعالبي و كان متحمسا للقضية الدستورية و سافر في بعثتها الى باريس و تولى حفظ اسراره و أوراقه ثم انتخب عضوا في لجنته التنفيذية و عين كاتبا عاما مساعدا فيها بالعربية و تولى لفترة إدارة مجلة الفجر الحزبية و كان ينشر فيها و في غيرها مقالا يوميا في السياسة الخارجية[2] كما انصب اهتمامه ايضا على مشكلة الدفاع عن الخليفة العثماني المهدد في منصبه فانشأ لجنة الخافة الإسلامية لانه كان يرى ان الخلافة الإسلامية في اسطمبول هي الصالحة لجمع كلمة المسلمين و جعلهم يدا واحدة و عقيدة واحدة و جسما عاملا واحدا[3] و في 1924 كان ضمن المساهمين في تأسيس الرابطة القلمية في شهر رمضان المعظم عام1342هـ/1924 يضاف الى ذلك نشاطه المسرحي فكان وراء تراسه لفرقة السعادة المسرحية،و هي الفرقة التي كان يديرها الفنان الكبير عبد الجليل الارناؤوطل ومن اشهر روايتها طارق بن زياد التي منعتها سلطات الاحتلال الفرنسي آنذاك و أيضا نكبة الأندلس و هي مسرحيات تصب كلها لتحريك الحس الوطني ضد الاستعمار،كما انه عبر عن كرهه للاستعمار[4] عام 1925 نشر مقالا في جريدة افريقيا الفتاة يؤيد فيه ثورة الريف في المغرب الاقصى بقيادة عبد الكريم الخطابي فكان ذريعة للحد من نشاطه و نفيه الى الجزائر في 5 جوان 1925 .

3- الشيخ اوعمران،المرجع السابق،ص426

2- بلقاسمي بوعلام ،المرجع السباق ص132-133

3- بوضرساية بوعزة ،المرجع السابق،ص 346

4- بلقاسمي بوعلام ، المرجع السابق ، ص 133

2/ في الجزائر :

بعد إبعاده من تونس من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية استقر بالعاصمة الجزائر عند أقاربه،تزوج و عاش حياة عائلية هنيئة كما قال و قد جرب التجارة فلم يفلح فيها،فاتصل بالجزائر بشخصيات سياسية و دينية و اندمج تدريجيا في الحياة العامة فتعرف على الشيخ عبد الحليم بن سماية صديق الأمير خالد و الشيخ احمد بن عليوة صاحب الطريقة العلوية لمستغانم بالإضافة إلى الرسام الفرنسي المسلم ناصر الدين دبسي و الشاعر الهادي سنوسي و غيرهم من الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر المعاصر،فتمكن من خلال ذلك من اخذ نظرة وافية حول حقيقة الأمر في البلاد تساعده على مواصلة الكفاح الذي بدأه في تونس ،كما زار العديد من الاثار الرومانية بفعل حبه للتاريخ كانت أولى خطواته في هذا المجال الكتابة في الصحف الى جانب حضوره لاجتماعات خاصة بعد انخراطه في نادي الترقي في عام1926الذي كان احد مؤسسه خلال صيف عام 1926 مع مجموعة من اعيان مدينة الجزائر الذي افتتح رسميا 03 جويلية1927 حيث انتخب السيد محمود بن ونيش رئيسا للنادي في حين استبعد احمد توفيق المدني من مجلسه الاداري رغم انه هو صاحب فكرة التاسيس و التسمية و سبب ذلك جاء على لسانه شخصيا :"...كيلا يقال ان الحزب الدستوري التونسي هو الساعي و هو المنفذ لهذا التاسيس..." شارك احمد توفيق المدني في حركة النهضة العربية الاسلامية التي كان يقودها الامام عبد الحميد بن باديس و بعض رجال الاصلاح الذين يرجع لهم الفضل في تكوين جمعية العلماء امثال الابراهيمي و الطيب العقبي،و الميلي[1] .

كما ساهم بقسط وافر في الإصلاح و نشر الثقافة العربية و تحرير الفكر العربي الجزائري من شوائب التقليد و الجمود و الخرافات و انظم الى فريق تحرير جريدة الشهاب لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،تقلد منصب الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين و رئيس تحرير في جريدة البصائر كما ساهم في تنشيطه الجمعيات الخيرية في العاصمة في 1928 اتخذ بنهج "لالير" مكتبا خاصا للعمل و النشاط مكث فيه 28 سنة[2] .

1- الشيخ اوعمران، المرجع السابق،ص426

2- بلقاسمي بوعلام ، المرجع السابق ، ص133

وعند اندلاع الثورة أصدرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الكثير من البيانات التي تبدي فيها تعاطفها على العمل المسلح و كان جميعها موقعة من طرف احمد توفيق المدني بصفته الكاتب العام الى جانب الشيخ العربي التبسي رئيسها بالنيابة و نائبه محمد خير الدين و كان اخر هذه البيانات بيان جل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للاعلان للانضمام الى الثورة 1956،فانتقل المدني الى القاهرة و منها الى الكثير من الأقطار العربية الإسلامية متحدثا باسم جبهة التحرير الوطني و طالبا الدعم المادي و المعنوي للثورة.
حيث أصبح احد أعضاء هيئتها الدبلوماسية بارزين و كان عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية ثم وزيرا للشؤون الثقافية في التشكيلة الأولى للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية[1] .

وبحلول عام 1961 عين وزيرا مفاوضا للجامعة العربية ثم وزيرا للأوقاف عام1962 و خلال المراحل الأخيرة من الثورة التحريرية برز نشاطه الدبلوماسي في التعريف بالقضية الجزائرية خاصة في الدول العربية و الإسلامية و بعد استرجاع الجزائر استقلالها عام 1962 شارك في بناء وطنه فكان[2] له دور أساسي في تأسيس معهد التعليم الأصلي لأول مرة بالجزائر التي فاق عددها 17 معهدا إسلاميا و ان خبرته الدبلوماسية و نشاطه الدءوب مكنه من تقلد العديد من المناصب السامة ففي عام 1966 عين سفيرا بايران و من عام 1967 الى غاية 1970 انتخب عضوا بجمع اللغة العربية بالقاهرة كما أعطيت له عدة مسؤوليات منها سفيرا بالعراق و تركيا[3] و الباكستان عام 1971 توفي 18 أكتوبر 1983 بالجامعة فيعتبر الشيخ احمد توفيق المدني فقيد الجزائر و العروبة و الإسلام و هي تلك الشخصية الفذة القديمة من نوعها القرن[4] و التي جندت كل قواها وإيمانا منذ مطلع هذا القرن فحياته المليئة بالكفاح و حب المعرفة[5] و العلم فهو رجل عظيم و هب لدينه و وطنه العربي الاسلامي[6]، فهو شخصية شامخة و ركيزة اساسية لبناء مدرسة وطنية جزائرية[1].

1- بوضرساية بوعزة ،المرجع السابق،ص348
2- انيسة بركات ،المرجع السابق ، ص259
3- عبد القادر حميد،المرجع السابق ، ص 198
4- الشيخ اوعمران ،المرجع السابق ، ص426
5- بلقاسمي بوعلام ،المرجع السابق، ص134-135
6- بوعزة بوضرساية ، المرجع السابق ، ص350

المبحث الثالث : دفاع احمد المدني عن عروبة الجزائر

1/ دفاعه عن العروبة في الجزائر:

اهتم الشيخ احمد توفيق المدني بموضوع الدفاع عن العروبة الوطنية والإسلام في الجزائر فقال " كانت فرنسا الاستعمارية العمياء ، الخرقاء ،تستعد ليوم كبير كانت تستعد باقصى ما لديها من جهد ومال ومن دعاية لإحياء ذكرى مرور مائة عام على احتلالها مدينة الجزائر ، وانتصابها حاكمة ظالمة جاء على انقاض بلد شهد خلال تاريخه الطويل ممالك ماسينيسا ، يوغرطة ، سيفاكس ،وبني رستم وبني حماد وبني عثمان وفرنسا تجاهلت شعور القوم ،تجاهلت إحساسهم ،تجاهلت الجرائم التي لا تزال دامية ،وتجاهلت دموعهم التي لا تزال جارية ،لا يهمهم من ذلك شئ ولم يكن جزائرين في حسابهم لا الشعب المظلوم المحقتر وسادة الجزائريين عموما من أقصى الشرق الى أقصى الغرب موجة من اليأس وخيبة الامل وصح فيهم يوم اذن بعض الصاريخين الضعفاء: يا قوم لا خلاص لكم من هذه المحنة الرهيبة الا بالتجنيس خذوا جنسية فرنسا وانضما الى ابنائها يوم اذن يكن لكم شان ويقرا لكم حساب حيث كانت دعاية فاجرة ،انتشرت في القوم ولم يناصاعو له اطلاقا .

انتشار التاريخ الهاشيم والذي زاد الطين بلة والجرح عمقا ،هو جريدة "الإصلاح " التي كان ينشرها في مدينة بسكرة الشيخ الطيب العقبي قد تخمس الى تلك الفكرة واخذ يروج لها ويكتب فيها الاستاذ الامين العمودي المقالات المطولة التي تجيز ذلك الطريق المعوج وكانت ثائرة تثور ودمي الحار يثور ، وانا اسمع تلك الدعاية ادت الى تلك المساعي ، وقلت اي والله اليوم حل الموت ، وعذب العذاب لأكتب في الموضوع مقالا يبين فيه فكري وافصح به عما في ضميري ليفعل بعد ذلك الله ما يشاء[2] .

فتوكل احمد توفيق على الله وكتب مقالا تحت عنوان" بين الموت والحياة " .وبعثت به الى جريدة الاصلاح .

فيقول المؤرخ ابروديل ان التعصب الديني والرغبة الجامحة في محاولة تنصير المسلمين وإرادة ابعاد حدود الإسلام كل ذلك مجتمع قد حدا بالاسبانيين ،أواخر القرن الخامس عشر

1- عبد القادر حميد،المرجع السابق ، ص 198

2- احمد توفيق المدني ، البصائر ، المقال السابق ص 204/203

وطوال القرن السادس عشر ان التدخل الغزو في البلاد الإسلامية بالشمال الإفريقي ثم يقول: ان الحروب الإسلامية في إفريقيا قد أخذت الصبغة الصلبة الحقيقية وذلك نظرا للدور الممتاز الذين قام بادئه رجال الكنيسة والكهنوت من اجلها في الكنيسة باسباني قد اهتمت بجميع ما لديها من الحماس والجرأة ، بهذه المعركة ضد الافريقيين ، بل ان الكنيسة قد ارادت في كثير من الاحيان بان هذه المعركة خاصة بها .

يقول المؤرخ بربروجر في كتابه عن صخرة مدينة الجزائر ،" ان الراهب خميس يتسحق كل التقدير من اجل تفكيره على الأقل لأنقاض شمال إفريقيا من الوحشية الإسلامية لكي تنتصر فيها المسيحية والحضارة " ، فكانت هذه الافكار تراود الاسبان باعتبارهم ان المسيحية هي التي ستكون الديانة الوحيدة في إفريقيا فجاهد المسلمون في بلاد المغرب بكا ما اتوا من قوة للدفاع عن دينهم وهزم النصارة والعودة الى بلادهم خائبين ، فكانت مواجهات بين المسلمين والأسبان اجتهد فيها العديد من المسلمين تحت راية الجهاد الإسلامي وقد ربط بين الجهاد ضد الأسبان في القديم وجهاد ضد الاحتلال الفرنسي للدفاع عن الوطن والدين في الجزائر[1] فحاول تصدي القانون والتجنس ولغرس الروح الوطنية في الشعب الجزائري والدفاع عن العروبة ، اعتبر قانون التجنس ومن يروج له بانه خذلان للوطن وقاتل عن محاولات تجنيس الجزائريين اي فرنستهم ونزع القوانين الاسلامية عنهم فالشعبي الجزائري فهو من اشد الشعوب الإسلامية محافظة عن الدين والقومية راى ان خروجه من حالة الضيقة والارهاق التي هو عليها الى التمتع بالحقوق الفرنسية موقوف على خروجه راضيا مختار عن احكام الشرع الاسلامي ونبذه عن طيبة خاطرا الأحكام السماوية التي انزلها الله في الزواج والطلاق والميراث، وحكم ذاك العمل في الذين معروف لايتنازع فيه عالمان ، ففضل الشعب البقاء على حالته الضيق والإرهاق ، ولم يقبل التمتع بالحقوق التي تاتيه عن طريق نبذ تعاليم دينه والتقاضي بغير ما انزل الله والطبقات الاسلامية تنفر من التجنس تفورا كبيرا ، ويعتبر المتجنس الذي تدعوه " امطروني " مارقا من الدين[2] .ولقد وقعت حوادث شهيرة في بلاد القبائل البربرية حول هذه المسالة حيث امتنع الطلبة هنالك من تلاوة القران الكريم والقيام بصلاة الجنازة على الاموات من المتجنسين لم نرفي التاريخ العالمي امة من الامم وقع عليها

1 – المدني توفيق ، حرب ثلاثمائة سنة ،ص 83

2 – احمد توفيق المدني ، البصائر ، المقال السابق ص 204/203

الاحتلال فاندمجت بكليتها ذاتية وأخلاق ولغة ونظاما في المحتل واصبحت واياه جزئا واحدا ،ذلك مخالفا لنواميس الطبيعة وسنن الله في كونه ولن تجد لسنة [1]الله تبديلا ، فالجزائر سواء أحرزت او لم تحرز على الحقوق السياسية ستبقى رغم كل شيئا جزائرية عربية مسلمة لن تترقى ولن تتقدم ولن تنهض من كبوتها الا عن طريق الجزائرية والعروبة والإسلام .

2/ محاولة فرنسا محو هوية الشعب الجزائري:

حاول الاستعمار الفرنسي محو هوية الشعب الجزائري حيث بقي الاستعمار الفرنسي طيلة قرن وربع، فكانت مظالمه لا تحصى وآثامه لا تعد و قد الحق بهذه الامة الكثير من الكوارث و النكبات ما لا تعتقد انه حاق بأمة أخرى من اغتصاب الأرض و اختلاس خبرات و تشريد أقوام و استشار بالحكم و السلطة ة فالحق بشعبها الفقر المنهك و أمراض فتاكة وإهمال شنيع شامل بتفاهته سائر الطبقات في كل الجهات إلى غير ذلك مما سجلته أقلام التاريخ على صفحات الاستعمار السوداء الى ان تحين ساعة الحساب[2].

ولكن سائر الجرائم المادية و كل الأوبئة الاجتماعية لا تكاد تكون شيئا مذكورا إذا قدرناها بالكارثة الأدبية الفادحة التي تعد النظام الاستعماري اقترافها عن رؤية و إمعان و منهاج مسطر إلا و هي جريمة قتل اللغة العربية التي تعتبر لسان الأمة الإسلامية ة فقد حاول الاستعمار ان يقطع الصلة بين الجزائريين و بين اللغة العربية التي تعتبر القلب النابض و هي روح الامة الإسلامية ة كذلك سعى الى فصل الجزائريين عن دينهم ة و تبرئهم من ملتهم و تقطع الصلة بماضيهم ة و تصبح بعد عصور المقاومة و الكفاح لقمة سائغة وطنية لينة يصنع منها الاستعمار قزما مشوها ة فكانت تلك الأماني الاستعمار و ذلك هو برنامجهم المحكم المسطور حيث ساروا قي تنفيذه و تمكنوا من جعل الأغلبية العظيمة من الأمة سائمة مهملة و دلك بسلوك طريقين يحققان الغاية الاستعمارية تحقيق لا ريب فيه فالطريق الأول هو طريق الإهمال و تعمد التجهيل و قد عرفت في بحر ظلماته تسعة أعشار الأمة او ما يزيد عن ذلك قليلا .

2- المدني احمد توفيق ، المقال السابق ، البصائر ، ص 329.

فأصبحت لا تجد في سهولنا و نجودنا و صحرائنا الا أمية حيث اتلف النظام الاستعماري و ما كان لها في القديم و من وسائل التعليم و تركها في بيداء التيه

حاول الاستعمار الفرنسي سلخ الشعب الجزائري عن دينه وعروبته شيئا فشيئا وجيلا بعد جيلا إلى أن تتكون الجماعة البشرية التي يريدها فارغة من قيمها الإسلامية فيفعل بها ما يشاء فكان فوق المليون من الصبيان في سن الدراسة ،بين أيدي الإهمال يزداد عددهم على نسبة ارتفاع المواليد في البلاد أما الطريق الثاني فيعتبر اخطر وأفظع فهو طريق التعليم الحكومي في المدرسة ألابتدائية وقد غشيه من أبنائها وبناتها قرابة المائة ألف حسب الإحصاء الرسمي ،فهنالك لا تقوا الحملة العربية ، ولا تكتب كلمة عربية بل لا يسمح بالنطق بكلمة عربية ، فالتعليم كله فرنسي بحت ، حسب منهاج محكم الوضع ،يخرج ناشئة جاهلة لدينا ،منسلخة عن عروبتها متنكرة لتاريخها ،فاقدة الصلة باناء عمومتها ، منتهجة في الغالب صوت وجهة غير وجهة العرب و غير وجهة المسلمين هذه الماساة الفظيعة التي ابتلت بها الامة من الامم العروبة فهكذا تقتل امة وهكذا تنتهك حرمة التاريخ وهكذا تعدم ائمة قوم من الوجود فكانت فداحة الخطب وعظم الجريمة فما كان موقف هذه المؤسسات ضمن هئية الامم المتحدة المكلفة بتنفيذ القوانين الاممية الى تواجه على الدولة المتسلطة وان تعلم الامة الواقعة تحت سلطانها لغتهم وادابهم وان تنشئهم حب تقاليدهم ،تاريخهم فنحن جزء من البشرية وكذلك امة خاضعة لسلطان الخارجي ، وكذلك تحت امة عربية مسلمة وايضا الدولة الفرنسية خاضعة للقوانين الأممية فعليها احترام حرية الشعوب في معتقادتها . لقد فكرت حكومة باريس امر فداحة النهضة العالمية أمام يقظة الدين الإسلامي هنا وهناك ، ان تذر شئيا من الرماد القانوني في العيون ان تقود بصفة في زاوية من زوايا الاهمال بالقانون الاساسي الجزائري الابتر ان اللغة رسميا لبلاد ، وان تعليمها ينظم في القطر ، وان المجلس الجزائري ، هو المكلف بإيجاد الطرق التي تنفذ هذا الأمر ، فصدر هذا القانون سنة 1947 فان كان المجلس الجزائري ينفذ قرار تعليم العربية في المدارس الابتدائية يمثل الهمة التي ابدأها في قضية فصل الدين عن الحكومة على ان الأمة لم تقف مكتوفة الأيدي تجاه هذه الجريمة المدبرة ،فأقبلت جمعية علماء المسلمين على تأسيس[1]

1- المدني احمد توفيق ، المقال السابق ، البصائر ،ص .329

مدارس الحرة ،فبذلت من التضحيات المادية ما يثير الإعجاب بزهرة الأبناء والبنات إلى المدارس واغلبها تحت رعاية ورقابة وإشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث يقرا كتاب الله ، يدرس الدين تزدهر العربية ، حيث يخرج البنات وتخرج الشباب ،كما تزيد الأمة تصل الماضي بالحاضر فالجدير بالذكر أن المدارس الحرة التي أساستها الحركة الإصلاحية كانت تكتسي صبغة الرسالة الوطنية إلى جانب الرسالة الدينية والتربوية[1] والاجتماعية ، وبفضل هذه المدارس الحرة تكونت نخبة مثقفة من أبناء وبنات الأمة الجزائرية ورغم محاولات الاستعمار الفرنسي في القضاء على الهوية الوطنية التي تكمن في شخصية الجزائريين والقضاء على اللغة العربية كتب احمد توفيق المدني مدافعا بكل جهوده في سبيل تثبيت الهوية وإصلاح الدين محاربا الاستعمار الغادر لشعبه ووطنه فاحمد توفيق المدني رأى في الاستعمار كل مظاهر القهر و الظلم والطغيان وكل أنواع السلب والتدمير و أراد تحقيق ترسيخ فكرة الجيدة والحسنة في قلوب الشعب لما للوطن الجزائري من أهمية وانه وطن عروبة وتعليم وإسلام[2] .

1- المدني احمد توفيق، المقال السابق، البصائر، ص 329.

2- نفسه، ص 329.

كرس احمد توفيق المدني منذ شبابه كل جهوده في سبيل الإصلاح الديني وإحياء اللغة العربية ومحاربة الاستعمار البغيض ، كان من الرواد الاوائل الذين وافقوا سير الحركات السياسية والإصلاحية والثورية بالشمال الافريقي فلم تزعزعه الحوادث ولم تأخذ منه الايام الحالكة ، بل ظل بينهما نشيطا ذكيا يؤدي رسالته في اتقان وإيمان وإصرار وصمود ان الاستاذ توفيق المدني شخصية فذة في الشمال الافريقي لا لكونه مؤرخا فقط ، بل لكونه كان ايضا وإذا استحق هذين اللقبين فإنما استحقهما عن جدارة لأنه مؤرخ وكاتب بكل ما تحمله هاتان الكلمتان من معنى صحيح [2] له مؤلفات قيمة في التاريخ والجغرافيا وله مقالات شيقة في مناهضة الاستعمار ولفائدة العلوم والمعرفة ، شهد المؤتمرات والقى البحوث والمحاضرات في عدة ملتقيات علمية وثقافية ، ويعد من الباحثين البارزين الذين قامت على اكتفافهم النهضة التاريخية في بلادهم خلال فترة خطيرة به شخصية عربية اسلامية اغنت الفكر العربي بابحاثها وكتبها فعمل بجد واجتهاد مع توافع وزهد وصدق من قال " وفي حياة كل امة رجال وهبوا نفسهم للعلم والفكر فافنوا حياتهم في سبيل ذلك "

وقد جاء في احد تقارير السرية التي كتبها المسؤولون الفرنسيين في اوائل الخمسينات (ان العلماء كانو يمثلون اكبر الخطر على الفكرة الفرنسية في الجزائر، فشعب مدارسهم عبارة عن خلايا سياسة والإسلام الذي يمارسونه مدرسة حقيقة للوطنية.....)

ويقول المؤرخ شارل اندري جوليان في كتابه افريقيا الشمالية تسير وكان العلماء هم الذين ايقضوا الراي العام الاهلى من سباته الذي شبهه شاعر عربي فيما بعد بغرفة انتظار الموت ، ولهم مذهب ديني قد يصلح اساسا لمطامح الوطنية .

المبحث الأول: أهـــم مؤلفاته

استطاع المؤرخ شيخ احمد المدني ان يثري المكتبة التاريخية الجزائرية و العربية بمجموعة نادرة من المؤلفات التي لا يمكن للباحث الاستغناء عنها و التي فاقت العشرين مؤلفا رغم الظروف التي كتبت فيها و التي كانت فيها الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي و أهمها[1] :

تقويم المنصور في خمسة مجلدا استغرق ما بين 1922-1930 تضمن عدة مواضيع أساسية منها على الفلك و المباحث العلمية و باب حول بساتين العلوم و أخر حول مرآة العالم باقة من رياض الأدب أشهر الحوادث و أعظم الرجال العالم الاقتصادي القسم السياسي عرائس الأفكار العملة و الميكابيل و المقابس و العالم الإسلامي[2].

قرطاجنة في أربعة عصور في تاريخ شمال إفريقيا قبل الإسلام .

محمد عثمان باشا داي الجزائر و خلاصة التاريخ الجزائر العثمانية 1938

-المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب ايطاليا1946

- هذه هي الجزائر 1957

-حنبعل مسرحية تاريخية 1950

- حرب الثلاثمائة سنة "1492-1792" ط$_1$ 1968 -ط$_2$ 1976

- جغرافيا القطر الجزائري "1848-1952-1964"

- مذكرات نقيب اشراف الجزائر

- حياة كفاح (مذكرات عن كفاح توفيق المدني (في 3 اجزاء

- الجزء الاول في تونس (1905-1925)صدر سنة 1976

- الجزء الثاني في الجزائر (1925-1954) صدر سنة 1977

- الجزء الثالث ركب الثورة الجزائرية صدر سنة 1979

1- بوضرساية بوعزة ، المرجع السابق ص 350-351

2- الشيخ أوعمران ، المرجع السابق ، ص 427

– **كتاب الجزائر** يقول في مذكراته من حياة الكفاح عن كتاب الجزائر و اخيرا مقت الساعة الحاسمة،جاء الوقت الذي رأيت فيه من واجبي ان أقدم للشعب الجزائر "حالته[1] الشخصية" غير مدلسة غير مشوهة غير خاضعة للدعايات المغرضة و لا للزيف الاستعماري العظيم فما كدت انتهي مع العاملين وضع الجمعية المعلماء المسلمين في صدارها الطبيعي حيث اخذت في صميم الشعب مستقرها و مقامها حتى اعتكفت في مكتبي و حولي الأوراق و الإحصاءات و كتب التاريخ و أخذت[2].

أمحص ذلك و انتوع عنه ثياب الاستعمار المدلسة و أربع أكاذيب الفاضحة و اكتب الحقيقة الناصعة كما يجب ان تكتب و هكذا بعد مجهود سنة في التحرير و أربع سنوات في الجمع و الترتيب قدمت للشعب الجزائري الأبي المجاهد " كتاب الجزائر " في 382 صفحة مصحوبا بالمحور الجغرافي" خارطة" ذي سبعة ألوان من مفذقاس 88*56 .كما يقول أيضا و لا أغالي و اعز لقد كان كتاب الجزائر فتحامينا نزع عن الشعب كل الشعب عشا و الجهل و المطبق الذي فرضه الاستعمار فيما يتعلق بالبلاد الجزائرية كشف الزيف الاستعماري الخبيث الذي وضع الأباطيل و الخرافات[3] .

موضع الحقائق و قد أطلقت لقلمي العنان دون موازية و دون حذر فإذا بي لا اؤخر اقيم صرحا شامخا للحق و اذا بي أحطم أساطير فاجرة نسجتها حماقة الاستعمار و رعونته فسجله تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى 1930 كما يجب ان يسجل مطهرا من الكذب و من الزيف الاستعماري .

كما الف ايضا كتاب بعنوان " هذه الجزائر "في مقدمة هذا الكتاب يتوجه الى الشباب الجزائري بنصائحه الحكيمة تملا قلب الشاب ايمانا بقومية و اعتزاز بتاريخه فلنسمع قوله"تذكر و لا تنسى ان الجزائر لا تسعد الا اذا عملت في دائرة دينها و لغتها و قوميتها فكن ايضا اسباب متحدا متظافرا و كن عاملا نشيطا و كن جسورا و كن غيورا متحمسا و كن متفائلا قوي

1– انيسة بركات ، المرجع السابق ، ص 261

2– احمد توفيق المدني ، **حياة وكفاح (مذكرات)** ، ج2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1988، ص 197 198

3– انيسة بركات ، المرجع السابق ، ص 261

الايمان بمستقبل الجزائر الباهر و لتخد شعارك في حياتك و أعمالك هذه الكلمات " الإسلام ديني العربية لغتي الجزائر قلبي" كما صرح في كتابه هذه الجزائر قائلا"فانا لم اكتبه للدعاية،إنما كتبته تسجيلا للواقع و تعريفا علميا بهذا اللقطر و بهدا الشعب فهو يعتمد على الصادق من ابناء التاريخ و على الثابت من أرقام الإحصاء و يحق الحالة الحقيقية كانها صورة طبق الأصل فلا مبالغة و لا تهويل[1] .

و قد الف هذا الكتاب بطلب من زملائه في الجبهة و من مؤتمر الخرجين العرب و غيرهم الذين يردون معرفة مختصرنا تاريخ الجزائر من مصدر موثوق و مطلع و باسلوب عربي سهل بلاطلاع السريع دون ان يسل قارئهانتهى المدني منه في يوليو و صدر عن مكتبة النهضة المصرية1956 كان الشيخ قد التحق بالقاهرة في شهر افريل فيكون قد الف الكتاب الدزائر ...الى الشهداء " و يظهر هدف التاليف من قول احمد توفيق المدني " الامة الجزائرية و القطر الجزائري اسمان خالدان مقسمان ثورتهما الجزائريون الحاليون " و هم عشرة ملايين الف الله بين قلوبهم في الكفاح و مع ذك فان العالم العربية و العالم عموما لا يعرف عن الجزائر الشيئ الكثير[2].

1- أنيسة بركات ،المرجع السابق ، ص 262

2- أبو القاسم سعد الله ، المصدر السابق ، ص 575-576

المبحث الثاني : إسهاماته في الكتابة التاريخية

1/ مفهوم التاريخ عند أحمد توفيق المدني:

تطرق المدني إلى مفهوم التاريخ وذلك من خلال مقولته: "التاريخ في نظري عرض وتحليلوتعليل وحكم فالمؤرخ الحق إنما هو حاكم نزيه، حر الضمير، يدرس الوثائق والمستندات ويستخرج الحقائق من بين النصوص ويستمع بإمعان إلى ما يقوله هؤلاء وما يقوله هؤلاء، ثم ينظر للملابسات ويدرس المحيط، فإذا ما أسفر أمامه وجه الحق ناصعا أصدر حكمه لا عاطفة ولا رياء ولا محاباة" وكان المدني يقصد من خلال ذلك أن المؤرخ النزيه هو الذي يتحكم في إصدار الأحكام دونتحريف، وأن يوظف المعلومات بكل ما أوتي من أمانة علمية وموضوعية، وأن يبتعد عن الأحكام الذاتية[1]، واذا توفرت هذه الشروط يكون التاريخ سليم وخال من أي زيادة أو نقصان.

2/ إسهاماته في تاريخ مبارك الميلي:

يعد الشيخ مبارك الميلي من بين العلماء البارزين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وذلك نظرا لعلمه الغزير في المجال التاريخي والفقهي أيضا، فاستحق أن يلقب بالعلامة فقد كان يجمع بين علوم الدين والدنيا كما كانت لديه إسهامات عديدة في مجال الكتابة التاريخية بالجزائر[2] ونستشف ذلك من خلال التراث الفكري الكبير الذي خلفه رحمه الله .

نظرا للعلاقات الطيبة والأخوية التي كانت تربط بين أحمد توفيق المدني ومبارك الميلي منذ أن تعارفا في 5291 م بقسنطينة فقد كانت تربطهم علاقات مبنية على التبادل الثقافي والعلمي وعليه كان للمدني مساهمة في عمل الميلي في مجال الكتابة التاريخية، حيث كان مشتركا معه[3] في تحرير كتابه الشهير "تاريخ الجزائر القديم والحديث" فكان المدني يقوم بجمع المصادر الفرنسية ويقدم له ما يهمه منها مترجما إلى اللغة العربية (ويقول المدني بهذا الصدد " واذا

1- سليم مزهود مفهوم الخطاب عمد الشيخ مبارك الميلي ،رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية 2006-2005،

2 احمد توفيق المدني ، **حياة كفاح،ج2**، المصدر السابق، ص230.

3 احمد توفيق المدني **حياة كفاح** ،**(مع ركب الثورة التحريرية)**،الجزء تر، دار البصائر،2009، ج3، ص ص587-588

تم تعريب أهم الأبواب، وأغلب الفصول من مختلف الكتب التاريخية الفرنسية قدم الميلي رحمه الله إلى العاصمة خصيصا من أجل ذلك وقضينا حوالي العشرين يوما في عمل[1] مستمر ونحن نقابل بين نص، ونحكم مختلف الكتب، فيما يترءا لنا من تناقض أو اختلاف بين مؤرخي الشرق ومؤرخي الغرب، وننهمك في عمليات حسابية طويلة كي ندقق تاريخيا، أو نوفق في شأن الحادثة الواحدة بين ما يرويه هذا أو يقصه ذلك") استنادا على هذا النص فهو يوضح لنا بصريح العبارة على أن المدني ظاهر الميلي فيعمله، وترجم له العديد من النصوص من مختلف الكتب الفرنسية وذلك بحكم أن المدني كان معروفا بثقافته الغربية، وبإتقانه للغة الفرنسية خاصة كما قام بالتنسيق معه في الكثير من فصول الكتاب، ضف إلى ذلك أنه ساعده في تحقيق تواريخ بعض الوقائع التاريخية[2].

3/ إسهاماته في مجلة الشهاب:

الشهاب هي عبارة عن مجلة إصلاحية أسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس في 12/11/1925 وتعتبر ثاني أهم صحيفة له وأطولها عمرا بعد صحيفة المنتقد، كانت تطبع بالمطبعة الاسلامية بقسنطينة، التي أنشأها ابن باديس وكان يديرها ويشرف عليها كل من أحمد بوشمال، الزواوي، بن القشي، صدرت في البداية في شكل جريدة أسبوعية وفي 01/02/1929 تحولت إلى مجلة كما سايرت التطورات السياسية والاجتماعية الفكرية وتم تصنيفها كصحيفة سياسية تهذيبية انتقاديه تدافع عن حقوق الجزائريين[3] كما كانت تدعو للمشاركة السياسية ومحاربة الاندماج والبدع والطرق الصوفية الموالية للإدارة الاستعمارية ولقد مرت الشهاب بمرحلتين:

المرحلة الأولى من 1925-1937 اتبعت في هذه المرحلة سياسة اللين وعدم مجابهة السياسية الفرنسية

1- محمد قنانش، المرجع السابق ص 110.

2- عبد الحميد بن باديس ، **محمد عثمان باشا داي الجزائر** 1766-1791 مجلة الشهاب ،م13، ج7، المطلعة العربية الاسلامية 3- (قسنطينة-الجزائر)سبتمبر 1937، ص 319.

3-أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2 ،المصدر السابق، ص399

المرحلة الثانية: من 1937-1939 تسمى بمرحلة اليأس حيث خاب أملها في الوعود الفرنسية فرفعت شعار "لنعول على أنفسنا ولنتكل على الله" وهنا بدأت تتكلم على استقلال الشعوب كحتمية تاريخية .وكان أحمد توفيق المدني هو المحرر السياسي لها، وكان من كتابها حيث اختص بكتابة المقالات سياسية في ركن "في الشمال الإفريقي ضف إلى ذلك كانت لديه بعض المقالات عن المجتمع الجزائري .ويقول المدني عن نشاطه بالشهاب "صلت وجلت في الشهاب صولات عميقة، وجوالت عريقة، ما يزيد عن عشر أعوام، منذ الشهاب الأسبوعي إلى نهاية الشهاب الشهري وما كنت أكتب في الشهاب إخباريا، إنما كنت توجيهيا... كنت أفكر في الجزائر وأقول لها من طرف خفي إياك عني فاسمعي يا جارة، وفي السياسة الداخلية كنت أكثر الناس صراحة وأشدها جرأة[1] . "...وتفاديا لمضايقات الإدارة الاستعمارية الفرنسية فقد كان المدني يكتب مقالاته باسم مستعار وهو "المنصور . "كما تنوعت مقالاته بالشهاب منها من كانت موجهة للشعب الجزائري مثل مقال "الجزائر البائسة" والذي تطرق فيه إلى وضعية الشعب الجزائري ،وعمل على حثه وتشجيعه على الثورة ضد السياسة الفرنسية والعمل على تغيير الأوضاع التي آلت إليها الجزائر ، ومنه ما كان موجها للإدارة الاستعمارية مثل مقال بعنوان "كلمة مرة ألنها صريح الحق ولباب الواقع" وكان هدف المدني من كتابة هذا المقال الرد على الاطروحات القائلة أن الجزائر فرنسية حيث بين لنا موقفه المعارض لسياسة الإدماج التي نادت بها الإدارة الاستعمارية، كما تميز أسلوبه في المقالات التي كتبها بالشهاب بالشدة والنقد اللاذع الاستعمار. وفي سنة 1939 تم إيقاف الشهاب وذلك بسبب عدم تأييدها لفرنسا عند اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وبهذا الصدد يقول الإمام عبد الحميد بن باديس: " لن أوافق على إرسال برقية تأييد للحكومة الفرنسية[2] ولو قطع رأسي" كما علق المدني أيضا قائلا: "وهكذا فقدت الآلة الصالحة التي كنت استعملها في حقل الوطنية والسياسة فقدت أبواب الشهاب التي كانت وسيلتي للاتصال المباشر مع الشعب ومع الطبقة الواعيوعليه فقد كان دور المدني بارزا في مجلة الشهاب هاته الأخيرة التي لعبت دورا كبيرا في التاريخ للنهضة الفكرية الحديثة بالجزائر

1-.نفسه، ص50-51

2- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2 ،المصدر السابق، ص274

من خلال المساهمة في إحيائها بفضل مجهودات رجال الإصلاح الذين تولوا أمر تنظيمها و إدارتها

4/ إسهاماته في جريدة البصائر:

يرجع تاريخ صدور جريدة البصائر إلى 27/12/1935 ولقبت باللسان الرسمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ِ تعاقب على رئاسة تحريرها كل من الطيب العقبى، مبارك الميلي، البشير الإبراهيمي، وتعتبر أهم صحيفة عرفتها الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، كما كانت توزع في كل من تونس والمغرب أيضا بالرغم من رفض الاحتلال لذلك دام إصدار سلسلتها الأولى إلى غاية قيام الحرب العالمية الثانية 1939 حيث توقفت بسبب رفضها لطلب فرنسا بكتابة دعاية ضد دول المحور .

ثم ظهرت في سلسلة ثانية من جديد سنة 1947واستمرت قرابة عقد من الزمن 1947 – 1956 كان رئيس تحريرها الشيخ البشير الإبراهيمي ثم أناب عنه بعد ذلك الشيخ أحمد توفيق المدني .كما كانت البصائر جريدة راقية وذات مستوى أدبي ممتاز، بالإضافة إلى اهتمامها بالجانب الديني للقضايا العربية والحفاظ على اللغة العربية والدين الاسلامي ، كما كان المدني يتولى تحرير ركن منبر السياسة العالمية بالبصائر باسم مستعار "أبو محمد" كما ذكرنا سالفا تعمد المدني إخفاء اسمه في مقالاته من أجل تمويه الإدارة الاستعمارية وتجنب مضايقاتها.

وفي ركاب الثورة الجزائرية و بعد سفر البشير االبراهيمي للقاهرة، تولي المدني بتفويض من المجلس الإداري التصرف بجريدة البصائر وتحريرها، حيث عر فت البصائر ازدهار كبير في فترته ضف إلى ذلك أن مقاالته لم تعني بالقضية الجزائرية[1] فقط بل أنه كتب عن العديد من القضايا العربية مثل قضية المغرب الأقصى تضامنا مع الملك محمد الخامس ضف إلى ذلك فقد قلة معالجة القضايا المحلية الجزائرية في مقالاته بجريدة البصائر حيث كانت تخدم القضايا العربية بالدرجة الأولى .وبهذا الصدد فقد تساءل الكاتب عبد اللطيف القنيطري عن أسباب هذا الغياب فوجه خطابه إلى أحمد توفيق المدني باعتباره محرر ركن منبر السياسة العالمية، في

1–أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بيروت–لبنان، دار الغرب إلسالمي، 1990،ج2 ،ص 87 ص88

مقال بعنوان "إلى أبي محمد . "هذا ما اعتبره المدني تشويه لسمعته، ومحاولة تكذيب مجهوداته السياسية والصحفية، حيث رد عليه أن الألمر يتعلق بتقسيم العمل من قبل الرئيس، حيث أنه أسند إليه الجانب الخارجي، أي الكتابة في القضايا العربية الخارجية قائلا: "إذا أمسك –أبو محمد – بقلمه وأخذ يسطر فوقا لقرطاس كلماته، فإنه ال يضع أمامه إلا الحقائق الناصعة... ولا يحكم فيها، إلا بفكره وضميره غير خاضع لاي تأثير أجنبي، حزبيا كان أو دوليا . "... وأضاف يقول: "كما لا يخاف محرر هذا القسم طائلة أي مستعمر ظالم... فقلمه وقف على مقاومة كل استعمار ومحاربة كل تسلط، ونصرة كل مظلوم، وخدمة كل شعب يجاهد في سبيل حريته واستقلاله... . "والدليل على ذلك مقاله الذي نشره بالبصائر بعنوان: "أفظع جرائم والاستعمار ذكر فيه جرائم الاستعمار المتتالية على الجزائر، والنكبات التي حلت بها.

ضف إلى ذلك له عدة مقالات في العديد من المجالات والجرائد المحلية خلال الفترة الممتدة من 1925–1962 فكتب في مجلة التلميذ عدة مقالات امتازت كلها بالطابع الاصالحي، حيث كانت هذه المجلة شهرية تصدر باللغة العربية والفرنسية وكانت تابعة للجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في إفريقيا الشمالية كما كان له مقالات في جريدة الاصلاح حيث كان يحرر فيها ركن أسبوع في العالم، وجريدة النجاح، وكذا مجلة إفريقيا الشمالية [1].

المبحث الثالث: موقفه من قضايا عصره من خلال كتاباته

1/ احتفال فرنسا بالذكرى المئوية للاحتلال الجزائري

لم تكتف سلطات الاستعمار الفرنسي بعمليات القتل والتنكيل وانتهاك الحرمات طيلة قرن من الزمن بل تعدَّاها ذلك إلى تتويج هذه المآسي بإقامة حفل عظيم منبره رقص وغناءعلى أشلاء شعب أعزل لم يؤمن برسالتهم ولم يرضخ لقوتهم الحديدية (،حيث تمّ اختيار عام 1930للاحتفال بمرور مائة سنة على التواجد الفرنسي بالجزائر، كما تمّ تشكيل اللجنة الوطنية لمئوية الجزائر، هذه الأخيرة قامت بإصدار اثني عشر كُتيبًا وتولت الإعداد لهذا الاحتفال الذي انطلق من 04/05/1930 أمّا عن أبرز الأحداث التي سبقت الاحتفالات[2] فتمثلت في ضجة

1– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2 ،المصدر السابق، ص23

1– محمد قنانش ، **الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين** (ط د) الشركة الوطنية للنشر1919–1939

إعلامية في فرنسا وكذلك في الجزائر حيث لقي هذا الحدث تمجيدًاعظيمًا حتى قبل انطلاقه ودليل ذلك مختلف التصريحات التي أدلى بها مختلف الشخصيات الفرنسية في العديد من وسائل الإعلام سواء في فرنسا أو الجزائر) فالأجواء التي ميزت الاحتفالات كانت أجواء بهيجة وذلك بارتداء ملابس ذات ألوان زاهية وبارقة ، طبعت وزينت كافة الساحات العمومية، كما تمّ ارتداء البرانيس الحمراءالأرجوانية اللون من قبل الباشا والأغوات، أمّا عن القادة العسكريين والمعمرين فقد ارتدوا ملابس أنيقة[1]،

كما تمّ ارتداء برانس بسيطة في هذه المناسبة حيث علقت على صدورها نيشان وأوسمة عديدة التي تم جنيها في ميادين القتال خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918

كانت احتفالات فرنسا بذكراها المئوية في سنة 1930 دافعًا قويًا لقيام حِراك قومي وطني في الجزائر، أدى إلى تطور عصري في تفكير الحركة الوطنية) (،فرغم الظروف المؤلمة خاصة بعد حل حزب نجم شمال إفريقيا بقرار حكومي ورفض الشيوعيون فكرة استقلال الجزائر أبدت الحركة الوطنية صمودها بقوة إيمانها وعزمها الصادق، إذ أوّل ماقامت به هو إرسال مذكرة الى عصبة الأمم التي كانت تجتمع في جنيف تحتج فيه على الحالة التعسفية التي يعيشها الشعب الجزائري وعلى سكوتها على عدم تطبيق القرار الأساسي التي قامت من أجله والمتمثل في حق الشعوب في تقرير المصير.

لقد شعر معظم الزعماء السياسيين الجزائريين وكذلك المثقفين والمفكرين باستفزاز السلطات الاستعمارية لهم، وعلى رأس هؤلاء أحمد توفيق المدني الذي أكّد أنّ هذه الاحتفالات كانت حافزا قويا للجزائريين بردود أفعال جراء ما تعرضوا له من تصريحات[2]إنّ احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلالهم أرض الجزائر مُهينة تمسُّ بعقيدتهم وانتمائهم القومي، حيث يقول في ذلك قد قدّم القضية الجزائرية عشرين سنة على الأقل يتضح من كتابة المدني لهذه السطور مدى تأثير هذه الاحتفالات في نفوس الشعب الجزائري عامة وليس الزعماء والمفكرين فقط، حيث أيقظت

1- عمار بن تومي، **الجريمة و القطاعة** 1923-1954 م ، (د ط) دار القصبة للنشر الجزائر ، 2013م ، ص 123

2- مجلة الثقافة ، العدد 83، ص 59

الأمة الجزائرية التي تمسكت بمطلب رئيسي وهو الاستقلال وحق الشعب في تقرير المصير[1].كما كان المدني أبرز الشخصيات المتأثرة بهذه الاحتفالات المُشينة ودليل ذلك إلقائه بمختلف الخطابات الحماسية تصريحاته لرفع معنويات الشعب الجزائري وحثِّه على ضرورة التمسك بالدفاع عن قضيته الوطنية ومقوماتها، بكل الوسائل المتاحة، إذ قال في ذلك:

كنت اضطرم نار، كنت أُلهب حماس القوم، الذين كانوا يكتفون بمقابلة ذلك بدموع»

حيث أكد على ضرورة تمسك الشعب الجزائري بدينه ولغته وتوليه مسؤولية سخية المحافظة عليهما، لأنّ الحكومة الفرنسية لن تراعي أبدًا مصالح الشعب الجزائري بل هي تعمل لصالحها فقط، ويُبرر ذلك بتواجدها في الجزائر طيلة قرن من الزمن ولم تُقدِّم لهم أي شيء، ولم تبذل أي جهد في سبيل تعليمهم الإسلام والعربية، فالإدارة الاستعمارية تسعى جاهدة بكل الطرق للقضاء على كل مقومات الشخصية الجزائرية[2] .

2/ التجنيس

كان أوّل مشروع لتحقيق تجنيس جماعي من طرف فرنسا في الجزائر عام 1843، وهذا المشروع اقتصر على يهود الجزائر فقط، وذلك لأنهم كانوا مؤيدين وم رحبين بفكرة تواجد فرنسا في الجزائر، حيث لقي هذا المشروع إقبالاً كبيرا وسريعًا، حيث التفوا إلى جانب المحتلين الغرباء في البلاد وأهلها، لكن في تاريخ 14/07/1868 تمّ إصدار قرار من المجلس نص على منح الجنسية الفرنسية لليهود والمسلمين معًا مع احتفاظ المسلمين بأحوالهم الشخصية سنة 1930 سادت حالة بؤس ويأس كبيرين لدى عامة الشعب الجزائري من أقصى شرقهم إلى أقصى غربهم نتيجة استعدادات السلطات الاستعمارية للاحتفال بذكراها المئوية لاحتلال الجزائر، إضافة إلى اعتبارها الشعب الجزائري شعب مغلوب على أمره، والمظلوم المحتقر، حيث قال المدني في

1- عمار بن تومي ، المرجع السابق ص 123

2 - مجلة اثقافة ، نفسه

خضم هذه الأوضاع والظروف مما دفع بعض الصارخين الضعفاء يصرخ ويقول يا قوم لا خلاص لكم من هذه العصيبة المحنة الرهيبة إلاّ التجنس[1].

تم رفض مشروع التجنس من قبل كل أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

على رأسهم أحمد توفيق المدني، حيث بلغ رفض التجنس من قبل الأعضاء إلى اعتبار كل متجنس بالجنسية الفرنسية أنّه خارج عن الدين الإسلامي، إذْ أفتى الشيخ عبد الحميد ابن باديس في ذلك بالقول التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة الإسلامية، ومن رفض حكمًا واحدًا من أحكام الإسلام يعد مرتدًا عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع، (والمتجنس بحكم القانون الفرنسي يجري تجنيسه على نسله، فيكون قد جنى عليهم بإخراجهم من حظيرة الإسلام، وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه، وأثمها. متجدد عليه ما بقي له نسل في الدنيا خارجًا عن شريعة الإسلام بسبب جنايته)

(...أنّ زعيم المتجنسين وهو السيد سالمور ولد له « : يقول المدني حول قضية التجنيس[2] طفل أطلق عليه اسم كريستيان أي المسيحي، وشاءت الأقدار أنْ يلد طفل لدى المدني أيضًا في نفس الوقت وأطلق عليه اسم إسلام، وأخبر الجميع في نادي الترقي أنّ هذين الاسمين منهاج سياستين: سياسة التجنيس تجعل أولادكم كريستيان وسياسة العروبة والوطنية والإسلام وهذا دليل واضح على رفض توفيق المدني لسياسة التجنيس التي (تجعل أولادكم إسلام تعتمدها فرنسا في الجزائر)، خاصة وأنّ الاستعمار يسعى بشتى الطرق لجعل الجزائر تابعة لفرنسا من خلال القضاء على مقوماتها الوطنية من بينها الجنسية الجزائرية وبالتالي يرفض الاعترافات بها وكذلك وصف الجزائريين بكلمات احتقارية كما يتّضح موقف المدني بال رفض للتجنيس من خلال مختلف الخطابات والتصريحات وكذلك كتاباته[3]،

ومما زاد الطين بلة، والجرح عمقًا هو أنّ جريدة الإصلاح « : حيث كتب يقول :

1- محمد قناش ، المرجع السابق ، ص 52.

2- أحمد توفيق المدني ، **هذه هي الجزائر** ، المصدر السابق ، ص 167

3- أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، المصدر السابق ، ص 171.

التي كان ينشرها السيد الطيب العقبي قد تحمست لتلك الفكرة وأخذت تروج، ويكتب فيهاوكان ردّ فعل ،» الأستاذ الأمين العمودي المقالات المطولة التي تحبذ ذلك الطريق المعوج المدني جراء هذا الأمر إرساله مقالاً لجريدة الإصلاح بيّن من خلاله موقفه الرافض للتجنيس وما ينجر عنه من مشاكل وعقابات تزيد من معاناة الأمة الجزائرية، وتُصعِب الطريق نحو الهدف المنشود لتحقيق طموحهم في الاستقلال وكان هذا المقال تحت عنوان "بين الموت والحياة"، كما أرسل معه رسالة للشيخ الطيب العقبي،وعليه فقد كان المدني من أبرز أعضاء جمعية العلماء التي تُنادي بلا تجنيس، حيث حرر العديد من المقالات يشرح فيها موقفه وكذلك سلبيات هذا المشروع وأهداف فرنسا الخفية منه[1].

3/ القضية البربرية:

يرى محمد حربي أنّ من سلبيات بعض المفكرين والعلماء في مستواهم الثقافي والدّراسي لتاريخ المغرب العربي إنكارهم لحقبة زمانية كاملة من تاريخ الجزائر، خاصة تلك السابقة للفتح الإسلامي، في القرن السابع، وكذلك الفترة الممتدة من بداية الاستعمار إلى نهايته أي 1830إلى1962 م، وقد أدى موقف عدائهم للبربر إلى زيادة حدة وخطورة[2] المشاكل المتعلقة بالوحدة الوطنية، كما أشار إلى أنّ صفارات الإنذار التي أطلقها المدني خلال ثلاثينات القرن الماضي تبدو مبالغ فيها لأنّ كل مجهودات الاستعمار في تنصير المجتمع الجز ا ئري باءت بالفشل لقد اعتبر المدني البربر بأنهم أوّل سكان بلاد المغرب العربي حيث قال ويدعون يدعون أنفسهم الأمازيغ البربر قوم أشراف، أي السادة الأحرار لا يتحملون الخضوع لسلطان، ولا يرضخون للقوة، وأنهم أوّل سكان المغرب العربي أو بالأحرى أوّل سلالة بشرية سكنت هذه البلاد، جاؤوا من آسيا، وهم أبناء العرب والفينيقيين أي أنهما[3] .

أمّا عن سلطات الاستعمار فقد عملت على إيجاد سياسة خاصة ببلاد البربر من أجل خلق العداوة ونشر الحقد والضغينة بين أهل البلاد وبين العرب تطبيقًا لمبدأ فرق تسد، إذْ أنّه

1- المصدر نفسه، ص 166.

2- يحيي بوعزيز ، **كفاح الجزائر** ، (د ط) ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1986م ، ص 203 .

3- أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح ، ج3، المصدر السابق ص 236

وبناءًا على إحدى التقارير فإنّه يوجد 14 % من البربر في الجزائرو 48 % في مراكش و 12% في تونس حول هذا الموضوع يؤكد المدني أنّ الإدارة الفرنسية منذ نشأتها إلى زوالها تسعى دومًا إلى التفرقة ونشر الخصومات بين مختلف عناصر السكان الجزائريين[1]، فهي التي تكون دائمًا سببًا في إثارة الفتنة والكراهية بين العنصر البربري والعربي،لأنّ فرنسا منذ أوّل يوم تواجدها بالجزائر وهي تحارب الدين الإسلامي وكذلك اللغة العربية سعيًا منها بشتى الطرق لإحلال محلها الديانة المسيحية واللغة الفرنسية على التوالي، وذلك من أجل فرنسة المجتمع الجزائري ودمجه في المجتمع الفرنسي المسيحي، وبالتالي اقتطاع الجزائر من امتدادها الجغرافي العربي والإسلامي وكذلك الحضاري الذي يربطها بالعالم العربي الإسلامي فالسياسة المتبعة من طرف الاستعمار الفرنسي تُعدُّ السبب الرئيسي لظهور الفكر البربري في الجزائر، فهذه الأخيرة معادية للعروبة والإسلام لأنّها تهدف إلى خلق هوية جديدة داخل الإطار الفرنسي الأوروبي يُؤكد أحمد توفيق المدني أنّ الإدارة الاستعمارية تعمل على إيقاد النار ولا تسعى إلى إخمادها وأنّ لها أعوان خفاء أو معروفين يخدمون مصالحها ويعملون على نشر أفكارها[2]، ودليل ذلك ما قامت به في مدينة غرداية وما حدث فيها من صراعات بين المالكية والإباضية، فالسياسة الفرنسية تسهر على تضييق الخناق على الإسلام واللغة العربية وكذلك التقاليد الإسلامية، وفي المقابل كان الشعب الجزائري يرتكز على الإسلام والبلدان العربية حيث يعتبر الإسلام المحرك الكبير للدفاع عن الشخصية والكرامة والارتباط التاريخي مع باقي الدول العربية، وذلك باعتبار الجزائر جزء لا يتجزأ من العالم العربي والإسلامي كان جلُّ العلماء والمفكرين الجزائريين على دراية تامة بالسياسة الفرنسية وأهدافها الخفية التي تسعى إلى تحقيقها في الجزائر، إذْ عمل هؤلاء على نشر الوعي الديني والوطني، كما صرح الشيخ أحمد توفيق المدني عام 1939 أنّ اللغة العربية والإسلام في منطقة القبائل يحيط بهما خطر كبير، كما دعى إلى ضرورة إيجاد حل

1- محمد الصالح رمضان ، من فتاوى و التفرنس و التروج بالأجنبيات ، مجلة الثقافة ، العدد 14، 83 ذو الحجة سبتمبر 1984 م ،

2- أحمد توفيق المدني ، جياة كفاح ، ج2 . المصدر السابق ، 249

سريع من أجل إنقاذ الوضع[1] قبل تفاقمه، كما أدان بشدة ما يقوم به الفرنسيون من أجل تنصير المسلمين الجزائريين واخراجهم من الحضيرة العربية والدين الإسلامي كان للمدني مساعي كثيرة لإخماد نار الفتنة التي أحدثتها الإدارة الفرنسية سواء بين البربر والعربي أو بين المالكية والإباضية في مدينة غرداية، حيث عمل على إنهاء الصراعات من خلال استغلال بعض العقلاء بين الطرفين، كما حثَّ الأمة على ضرورة اشتغالها بما هو أهم وأصلح، لكن قضية غرداية أخذت منعرجًا آخر وتطورت تطو اً ر كبي اً ر إلى أنْ توصل[2]الأمر إلى انتشارها في كامل أرجاء الوطن وأصبحت هناك دعايات ضد الإخوان الإباضيين نشر أفكار ضدهم، وكان وراء كل هذه الأحداث والنزاعات وتطورها الإدارة الفرنسية التي تسعى إلى تقسيم الوطن الجزائري وتثبيت أقدامها لجعل الجزائر مقاطعة فرنسية، وجعل خطورة السياسة البربرية على الوحدة الوطنية، فهي تلعب دورا كبيرا في تحقيق الشقاق والفرقة بين السكان وكانت فرنسا تُقر بوجود ثلاث نقاط أساسية[3] وهي: أنّ هناك تناقض بين العرب والبربر وأنّ هناك اختلاف بين العرقين كما أنّ فرنسا تُفضل الجنس البربري على الجنس العربي، وذلك لأنّ الجنس البربري يُبدي تأييدًا وتقديرا للاستعمار، وأنّه على درجة كبيرة ورفيعة من التطور والتحضر، وكذلك أنّ البربر يُبدون استعدادهم لفكرة الاندماج بالمجتمع الفرنسي سياسيا واجتماعيًا وحتى ثقافيًا، أي أنهم مُرحِبين بفكرة التواجد الفرنسي في الجزائر ودمج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي المسيحي كنت أرى ذلك وأشاهده، وكنت أقاومه وأصدامه، « : دون أي إشكال ((،حيث يقول المدنيوكنت أتوخى أحسن الطرق لكي أدرا على الشعب المسكين سوء العقبى التي يريدون أن يسوقوه إليها)[4])،إذْ ملت فرنسا وسلطاتها على فصل المناطق التي يقطنها البربر الأمازيغ عن بقية المناطق الأخرى من الوطن، كما حاولت تلقين وتدريس الثقافة الفرنسية وفي المقابل منعت

1- عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون ، **الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرت معاصر 1947**-1954 ، ج3 ، ط2 الجزائر ، 2008 م

2- أحمد توفيق المدني ، خياة كفاح ، ج2 ، المصدر السابق ، 237

3- محمد خربي ، الثورة الجزائرية سنوات المخاص ، ترجمة ، نجيب عياد ، صاح المثلوثي ، (د ط) ، موفم للنشر الدزائر ، 1994م .ص

4- أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، مصدر السابق ، ص 65.

تدريس الثقافة العربية الإسلامية لأبناء هؤلاء القبائل، وذلك لتحقيق هدف واحد ألا وهو إحلال المسيحية والفرنسية، وكذلك اللغة الأمازيغية محل الإسلام واللغة العربية في[1] منطقة القبائل خاصة ومن ثمة في الجزائر عامة، وهذا دليل قاطع على أنّ فرنسا تشنُّ حربا على مقومات الشخصية الجزائرية من أجل محوها نهائيًا) (،وعليه فإنّ الاستعمار الفرنسي في الجزائر اتخذ من المسألة البربرية سلاحًا فتاكًا في يده[2]، مستغلاً تواجده في الجزائر لتحقيق جل أهدافه وأطماعه التوسعية بدعمه لطائفة تسعى إلى التخريب والتمرد.) تعتبر المسألة البربرية من أخطر القضايا التي أثرتها فرنسا لتفرقة الشعب الجزائري ونشر العداوة بين أبنائه، وساعدها هذا في تحقيق خطوة كبيرة نحو تثبيت أقدامها في

الأراضي الجزائرية[3] لكنها لم تنجح مختلف مشاريعها وذلك يعود لتماسك الشعب الجزائري فيما بينه واعتماده على مبدأ واحد وهو الدين الإسلامي والعروبة بالإضافة إلى مساعي جل العلماء والمفكرين في نشر الوعي القومي في أوساط الأمة الجزائرية على رأسهم توفيق المدني.

4/ موقفه من المؤتمر الإسلامي :

يعتبر المؤتمر الإسلامي الجزائري من أهم الأحداث السياسية التي لم تشهدها الجزائر طيلة أكثر من قرن فهو أكبر تجمع شاركت فيه مختلف الاتجاهات و مثلته مختلف الطبقات و قد تميز بالعدد الكبير للحاضرين و المشاركين كما أن مطالب التي طرحها المؤتمرون كانت تحمل أمال عريضة في مختلف النواحي و يعتبر عبد الحميد بن باديس هو أول من طرح فكرة تأسيس المؤتمر حيث نشر آراء له في السياسة الجزائرية في جريدة (لادفانس) الدفاع التي يصدرها الأستاذ العمودي بلسان الفرنسي وذلك في عدد 2 جانفي 1936 حيث كان من بين تلك الآراء عقد مؤتمر إسلامي جزائري لان المرجع في مسائل الأمة هو الأمة و الواسطة في ذلك هي المؤتمرات ،فبقيت الفكرة تتردد في النوادي حتى فازت الجبهة الشعبية بفرنسا فتأسس المؤتمر

1- مجلة الشهاب،العدد9 ، قسنطينة، غرة ربيع الثاني 1354 هـ /جويلية 1953 م، ص 268

2- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 310

3- يوسف مناصرية، **دراسات وابحاث في المقاومة والجركة الوطنية الحزائرية 1830-1954م**، (د ط)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،2013م /ص 330.

الإسلامي الجزائري يوم 7 جوان 1936 يشارك فيه عبد الحميد بن باديس ، الطيب العقبى ،البشير الإبراهيمي ،محمد خير الدين و غيرهم من العلماء[1] ، حيث كان لمشاركة العلماء أثر فعال في تعطيل الاندماج و إبراز الذاتية العربية الجزائرية حيث جاء في مطالب المؤتمر ما يلي :

*المحافظة على الحالة الشخصية الإسلامية مع إصلاح هيئة المحاكم الشرعية بصفة حقيقية ومطابقة لروح القانون الإسلامي.

*فصل الدين عن الدولة بصفة تامة وتنفيذ هذا القانون حسب مفهومه ومنطوقة.

*إرجاع سائر المعاهد الدينية إلى الجماعة الإسلامية تتصرف فيها بواسطة جمعيات دينية مؤسسة تأسيسا صحيحا

*إلغاء كل ما اتخذ ضد اللغة العربية من وسائل استثنائية و إلغاء اعتبارها لغة أجنبية .

كان للمدني موقفا صريحا من انعقاد المؤتمر الإسلامي حيث كان رافضا رفضا مطلقا لمطالب هذا المشروع حيث كانت له مطالب أخرى غير التي ينادي بها المؤتمر وذلك استنادا لما ورد في مذكراته حيث يقول: "اجتمع المؤتمر يوم 7 جوان 1936وما كنت راضيا عن المطالب المقدمة، وما كنت مصادقا على الوسائل المنبوذة، كنت أقول للحاضرين يا قوم لقد رأيتم انهيار كل مطالبكم الاندماجية، ورأيتم مصادمة المستعمرين لكم[2].... فطوروا مطالبكم وأنت تجمعون مؤتمرا لأول مرة في تاريخ الجزائر، ونادوا بالقومية الجزائرية..... ونادوا بوجوب تكوين حكومة جزائرية وانتخاب برلمان جزائري مع حفظ حقوق فرنسا والفرنسيون بالجزائر . "عرض المدني هذه المطالب على كل الحاضرين فكان رأي فرحات عباس حيث اعتبرها ضربا من الخيال وأنها تعني إعالن الحرب على فرنسا[3]، أما رأي عبد الحميد ابن باديس حيث أنه قال لم يحن الوقت لهذه المطالب بعد، وأنهم يريدون الإلحراز على استقال الدين وحرية العربية أوال .فطلب المدني حينئذ من رجال المؤتمر أن يحضر هو بنفسه ويقنع الحاضرين برأيه، فكان رد العلماء عليه كما

1- البشير الإبراهيمي، "فكرة المؤتمر"، الشهاب، م58 ،ج9 ،المطبعة العربية الإسالمية، الجزائر، 58 جويلية 5416 ،ص541

2.- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 363.

3- نفسه، ص 364.

يلي" :لا تكن عامل إفساد، ولا تكن مشتت شمل، ولا تكن داعية شقاق، أترك هذه المحاولة تتم ذا خفقت بقينا على إخفاقها سياسة أخرى ومطالب فإذا نجحت استثمرناها إلى أقصى حد، و أخرى"... .

وعليه اتفق المدني والحاضرين على أن ألا يحضر المؤتمر وعذره هو أنه تونسي دستوري لا يتدخل مباشرة في الشؤون الجزائرية وعليه سافر المدني إلى تونس أيام انعقاد المؤتمر.

إن التاريخ الجزائري لما له من أهمية كبرى عمل معظم المؤرخين على ترسيخ واقع الجزائريين في كتب قيمة، حاولنا بدورنا جعل عدة معلومات تخص هذا التاريخ في مذكرة تشمل بعض من هذه القيم وتقديمها لتكون صورة للباحثين ، فبعد دراستنا لهذا الموضوع استنتجنا مجموعة من النقاط نذكرها كمايلي:

- ❖ إدراك المؤرخين الفرنسيين لأهمية التاريخ الجزائري فأعطوا له أهمية كبيرة من بداية العصور القديمة إلى العصور الحديثة والمعاصرة وحاولوا تشويهه بكل الوسائل وإذا ما له من أهمية على مستقبل الأجيال القادمة فكتبوا وتفننوا في كتابتهم حتى يعتمد عليها الباحثين الجزائريين دراسات لهم
- ❖ فنتيجة للكتابات الفرنسية المشوهة للتاريخ ظهر العديد من المؤرخين الجزائريين الذين دافعوا عن التاريخ بكل موضوعية وروح وطنية في تسجيلهم للوقائع التاريخية الجزائرية
- ❖ محاولة الاستعمار القضاء على الهوية الجزائرية وإدماج الجزائريين في الحضارة والثقافة الفرنسية وطمس مقومات الأمة الجزائرية وذلك بمنع تعليم اللغة العربية في المدارس وإعطائهم برامج فرنسية بحتة وكذلك محاولة تنصير المسليمين وإدخالهم في الدين الإسلامي وتحطيم أثارهم المادية وذلك لما له اهمية على مستقبل البلاد
- ❖ ظهور العديد من المصلحين وكان على رأسهم الشيخ احمد توفيق المدني الذي أخذه كنموذج في دراستنا الذي دافع عن الوطن بقلمه وكتب بكل روح وطنية عن الأحداث والوقائع .

كما كتب العديد من المؤرخين الجزائريين لدحض مزاعم المدارس الفرنسية الاستعمارية والقضاء على ادعائها المظللة والمشوهة لتاريخ الجزائر وأخيرا من قراءة الفرد الجزائري لتاريخه من خلال دراسات وكتابات مؤرخين الجزائريين يتبلور لديه الحس الوطني ويكون مدركا لحقيقة التاريخ الجزائري

1- قائمة المصادر :

1/ المدني احمد توفيق ، افظع جرائم الاستعمار ، البصائر ، العدد 281-325 ، ج9،ط1 ، دار الغرب الاسلامي، بيروت ،2009

2/ المدني احمد توفيق ، حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا "1492 -1792"، ط1 ،دار البصائر ، الجزائر ،2007

3/ المدني احمد توفيق ، حياة كفاح ، مذكرات في تونس 1905 -1925 ،ج1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1998

4/ المدني احمد توفيق ، حياة كفاح مذكرات ، ج2 ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1988

5/ المدني احمد توفيق ، كتاب الجزائر ، الشهاب ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت

6/ الصديق محمد الصالح ، اعلام من المغرب العربي ، ج3 ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2000

7/ بوعزيز يحي ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين ،ج1 ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ،1995

8/ تركي رابح ، التعليم القومي والشخصية الجزائرية ،ط2 ،(ش.و.ن.ت.) ، الجزائر ، 1981

9/ سعد الله ابو القاسم ،تاريخ الجزائر الثقافي : 1830- 1954 ،ج6 ، دار الغرب الاسلامي ، الجزائر ، 1998

10/ سعد الله ابو القاسم ،تاريخ الجزائر الثقافي : 1954- 1962 ،ج10 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2007

11/ قناش محمد،ذكرياتي مع مشاهير الكفاح (مصالي الحاج) ، دار القصبة،الجزائر،2005

2- قائمة المراجع:

1/ الساحلي محمد الشريف ، تخليص التاريخ من الاستعمار :تو ، محمد بن دالي حسين محمد هنا ، منشورات الذكرى الاربعين للاستقلال ، الجزائر، 2002

2/ الساعدي عبد جاسم،الإبعاد التاريخية و الثقافية في الأزمة الجزائرية(ندوة لندن 1999)المؤسسة الوطنية للفنون و المطبعة ،وحدة الرغاية الجزائر ،2004

3/ الشيخ اوعمران ، قضايا الثقافة والتاريخ ، الطبعة الثالثة منشورات الثالثة ، الجزائر ،2004

4/ الشيخ او عمران ، وفريق من الأساتذة ، معجم مشاهير المغاربي ، منشورات دحلب ، الجزائر ،2007

5/ بركات انيسة، محاضرات و دراسات تاريخية و ادبية حول الجزائر،منشورات المتحف الوطني 1995

6/ بلقاسمي بوعلام واخرون ، موسوعة اعلام الجزائر اثناء الثورة ، منشورات المركز الوطني، 2006

7/ بوضرساية بوعزة،رواد المدرسة التاريخية الجزائرية،دار الحكمة،الجزائر2007

8/ بوعزيز يحي مدينة وهران عبر التاريخ ، الطبعة الاولى ،دار الغرب ،وهران ،2002

9/ بوعزيز يحي موضوعات و قضايا في تاريخ الجزائر و العربج2دار الهدى الجزائر450

10/ خلوش عبد القادر ، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ، ط2، دار الامة، الجزائر1999

11/ دبوز محمد علي ،نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ج1سحب الطباعة الجزائرية الشعب للجيش الجزائر2007

12/ الزغيدي محمد لحسن ، الذاكرة ، الجزائر، العدد الثالث ، 1995،

13/ سعيدوني ناصر الدين دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر ج2 ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (د.ت)

14 / سعيدوني ناصر الدين ، دراسات وشهادات ، مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2000

15/ سعيدوني ناصر الدين ، دراسات و رقات جزائرية، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، 2000

16/ صالح بالقربة ومجموعة باحثين ، تاريخ الجزائر ، وسيط من خلال المصادر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، 2007

17/ قنان جمال ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790- 1830 ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر ، رويبة ، 2005

18/ مرتاض عبد المالك ، ادب المقاومة الوطنية الجزائرية " 1830-1962" ، ج1 ، دار هومة ، الجزائر ، 2003.

19/ مذكرة تخرج المؤرخون الجزائريون في مواجهة ،

الوفد التونسي الحزب الدستوري اجابه لوسيان سان ممثل فرنسا بتونس .

من الشمال الى اليمين : علي القرقوري ، احمد السلامي ، احمد الصافي ، سليمان الجادوي صاحب « مرشد الامة » ، حموده الخماسي . ثم محمد الجعايبي صاحب « الصواب » ، علي كاهية ، احمد سلامة ، الطيب بن عيسى صاحب « الوزير » ، راجح ابراهيم ، أحمد توفيق المدني ، صالح فرحات ، محمد الصالح خناش ، الشاذلي المورالي صاحب « المنير » . وهم يمثلون اغلب جهات المملكة .

مع اثنين من مناضلي الساحل التونسي

أحمد توفيق المدني حياة كفاح ج2 ط2 دار النشر والتوزيع
ص 161
الجزائر

بمناسبة سفر الوفد الثالث لباريس

الجالسون من اليمين الى اليسار :
1 – الشاذلي خزنة دار – 2 – أحمد توفيق المدني – 3 – الطيب الجميل – 4 – أحمد الصافي – 5 – صالح فرحات – 6 – الشيخ صالح بن يحيى .
الواقفون :
7 – زين العابدين السنوسي – 8 – محمد الجعايبي – 9 – حسين الجزيري – 10 – الطاهر آغا – 11 – علي بوكرداغة – 12 – عبد الرحمان اليعلاوي – 13 – محي الدين القليبي .

[redacted]

أحمد توفيق المدني ، المصدر السابق، ص 177

خمسه احرار من صميم المعركه

راجح ابراهيم ، احمد توفيق المدني ،
محي الدين القليبي .
والواقفان هما :
حسين الجزيري وعثمان الكعاك .

م احمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص 158

رسمي بتونس مع احد ابطال النهضة الجزائرية الاستاذ محمود بن قدور رودسي ، احد مؤسسي مدرسة الشبيبة الاسلامية بالعاصمة .

أحمد توفيق المدني : المصدر السابق ، ص 64

في بنزرت الخالدة ، ايام الكفاح

صورتي باللباس التونسي مع المجاهدين :
محمد الخميري (الواقف في الوسط)
والطاهر بن سالم .

أحمد توفيق المدني : المصدر السابق : ص 76

١٧ أحمد توفيق المدني.

في المدرسة القرآنية سنة ١٩١٨

- أحمد توفيق المدني : الخصر السابق ، ص ١٥٥

ملحق رقم 1: أحمد توفيق، حياة كفاح، ج4.

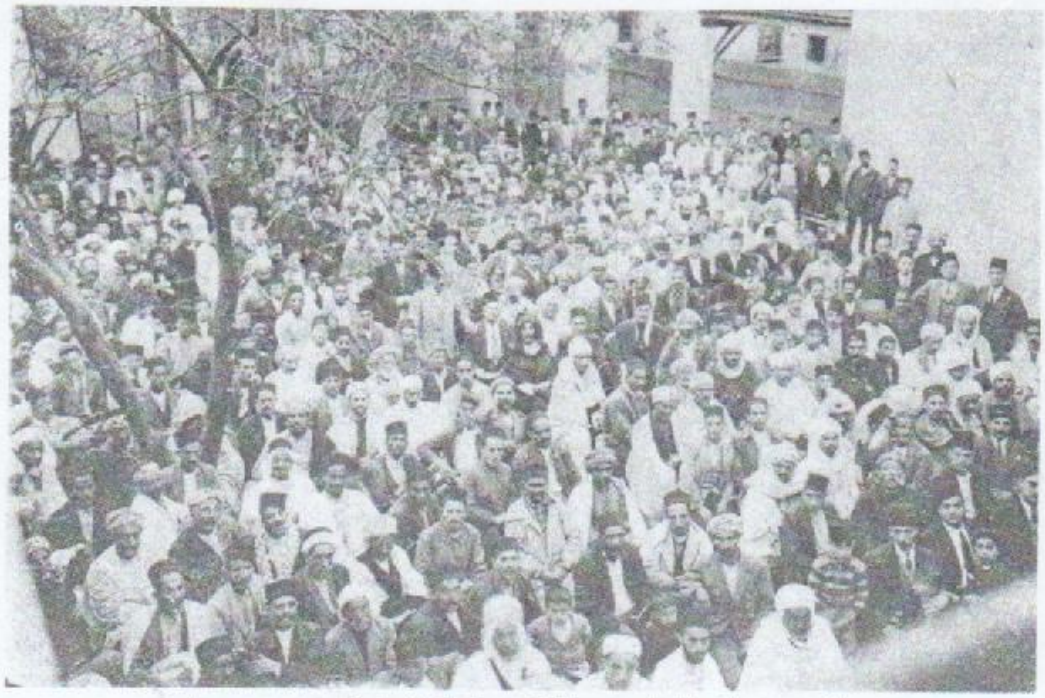

الشعب يحتفل بافتتاح مدرسة الشبيبة الاسلامية التي برعت بها جمعية الفلاح

ملحق رقم 6 ، أحمد توفيق ، حياة الحجاج ج 6.

محمد الشاذلي خزندار ، شاعر تونس العظيم – بين بعض رجال العاصمة

ملحق رقم 3 / أحمد توفيق، حياة كفاح، ج2.

خطاب الشيخ عبد الحميد بن باديس بنادي الترقي . ويليه :
- الشيخ الطيب العقبي .
- الشيخ العربي التبسي .
- الشيخ مبارك الميلي .
- الشيخ محمد خير الدين .

وامامه :
احمد توفيق المدني (حاسر الراس) وجماعة كبيرة من مجلس العلماء ومن رجال العمل والاصلاح بالعاصمة .

ملحق رقم 4 / أحمد توفيق، حياة كفاح، ج1.

في الجزائر مع الاخوان الكرام ابناء المنستيري : 1 ـ محمد بن حموده المنستيري .
2 ـ الصادق المنستيري ـ 3 ـ احمد توفيق المدني ـ 4 ـ الطاهر المنستيري ـ
5 ـ المنصف المنستيري ـ 7 ـ الشيخ محمد المنستيري ـ 8 ـ شقيق الهادي
المغني .

فهـــرس المحتـــــــوبـــــات	الصفحـــــــة
المقدمـــة	أ– ت
الفصل الاول: الكتابات التاريخية والهوية التاريخية	
المبحث الأول: اهتمام بعض المؤرخين الفرنسيين بالكتابة التاريخية	5
1/ رد بعض المؤرخين الجزائريين على الكتابات الفرنسية	07
2/ الاستعمار الفرنسي و المحاولة القضاء على الهوية الوطنية	11
المبحث الثاني: رد بعض المؤرخين الجزائريين على الكتابات الفرنسية	13
1/ حركة احياء التراث	13
2/ حركة المساهمة	13
المبحث الثالث: الاستعمار الفرنسي و القضاء على الهوية الوطنية	18
1/ التعليم في عهد الاستعمار الفرنسي	18
أ/ محاولة قتل اللغة العربية	19
ب/ محاربة الدين	19
ج/ تدمير و تخريب بعض المدن الجزائرية	21
الفصل الثاني: نبذة تاريخية عن احمد توفيق المدني	
المبحث الأول: مولده و نشأته وتعليمه	23
1/ مولده ونشاته	23
2/ تعليمه	23
المبحث الثاني: نشاطه السياسي و الفكري	25
1/ في تونس	25
2/ في الجزائر	28
المبحث الثالث: دفاع احمد المدني عن عروبة الجزائر	30
1/ دفاعه عن العروبة في الجزائر	30
2/ محاولة فرنسا محو هوية الشعب الجزائري	32
الفصل الثالث : كتابات التاريخية لتوفيق المدني و اهم مؤلفاته	

المبحث الأول: أهـم مؤلفاته	37
المبحث الثاني: اسهاماته في الكتابة التاريخية	40
1/ مفهوم التاريخ عند توفيق المدني	40
2/ اسهاماته في تاريخ مبارك الميلي	40
3/ اسهاماته في مجلة الشهاب	41
اسهاماته في جريدة البصائر	43
المبحث الثالث: موقفه من قضايا عصره من خلال كتاباته	44
1/ احتفال فرنسا بالذكرى المئوية للاحتلال الجزائري	44
2/ التجنيس	46
3/ القضية البربرية	48
4/ موقفه من المؤتمر الإسلامي	51
خاتمة	55
قائمة المصادر و المراجع	57
الملاحق	61
فهرس المحتـــويـــــات	72